مخطوط رقم	5134 م.ك	الموضوع	تصوف
العنوان	احياء علوم الدين		
المؤلف	الغزالي ; محمد ين محمد ـ 505 هـ		
أوله			
آخره			
تاريخ النسخ	القرن (6)		
إسم الناسخ			
نوع الخط	نسخ جيد	عدد الأوراق	77
لغة المخطوط		عدد الأسطر	0
تاريخ التأليف		المقاس	
الملاحظات	جزء من الربع الثالث من الكتاب		
مصدر المخطوط	شستربيتي		
المراجع			

PIETERSE DAVISON
INTERNATIONAL Ltd
microfilm service
Chester Beatty
Library
MS

2603 1981

5 cm

جميع حقوق النشر و الطبع محفوظة

لامناء مكتبة تشستر بيتي، دبلن، ايرلندا

This microfilm is copyright. It shall not be published
or printed without the permission of the Trustees of
The Chester Beatty Library & Gallery of Oriental Art
20, Shrewsbury Rd., Dublin 4, Republic of Ireland.

IḤYĀʾ ʿULŪM AL-DĪN, by AL-GHAZĀLĪ (d. 505/1111).

[A part of the third quarter of the famous treatise on mystical theology.]

40

Foll. 77. 18·8 × 13 cm. Good scholar's naskh.

Undated, 6 12th century.

* Fol. 77 contains an entry, dated 6 Ramaḍān 547 (5 December 1152), in the hand of al-Ḥusain b. Naṣr b. Muḥammad b. Khamīs (d. 552/1157).

كتاب ذم المهلكات من الاخبار والآثار

رجل الرجل الذي في يده بكوز منهناة لاهله يدفع به الحر عن نفسه
وقال عليه السلام لاصحابه مالي لا ازى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة
قال التواضع ٥ وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا
لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة ٥ وقال
الاحنف بن قيس رضي الله عنه ان العباد انما تواضع لله تعالى في
الله حكمته وقال انعش الله وعك الله واذا تكبر وعد اطوزه وهصه الله
الى الارض وقال اخ لنا اخشاك الله فهو في نفسه كبير وفي اعيننا صغير
حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير ٥ وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة
لمنهاج رجل نائم قد استظل بظله وقد جاوز الشمس المطلع فتوسمته
ان الرجل اشبعط فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي
تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا
ادري ما ظلمة النار يوم القيمة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا
الدنيا ٥ وقالت عايشة رضي الله عنها انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع
يوسف بن اسباط تجزئ قليل الورع مع كثير العمل وتجزئ قليل التواضع
كثير الاجتهاد ٥ وقال الفضيل وقد قيل عن التواضع هو ان تخضع للحق
له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته ٥ وقال
راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعم الدنيا حتى تعلم انه ليس
عليه في ذلك وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلم انه ليس
عليك فضلا ٥ وقال قتادة من اعجبه شيء من حاله او نباته او علمه
فيه كان عليه وبالا يوم القيمة ٥ وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه
عليك نعمة فاستقبلها بالاقرار بانه انعم عليك ٥ وقال كعب
عبد من نعمة في الدنيا فشكر ما لله وتواضع لله الا اعطاه
ما رجة في الآخرة والا [illegible] الله على عبد من [illegible]

...كا لله ولم يتواضع بها الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار
يعذبه ان شاء او ينجا او زعمه ... وسال لعبد الملك بن مروان اي الرجال
... قال من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة وترك النصرة عن قوة
ودخل ابن المبارك على هرون فقال يا امير المومنين ان تواضعك في شرفك
اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المومنين ان امرءا
اتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف
في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص الله
فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمن بن داود
عليه السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجي الى المساكين
ويقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان
يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في
المرتفعة ويروى انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون
فقال لهما الحسن تدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك
... فلا تلقى احدا الا رايت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما
... قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله
... وجعل قرار السفينة عليه وقال ابو سليمن ان الله عز وجل
... قلوب الادميين فلم يجد قلبا اتواضع من قلب موسى عليه السلام فخصه
بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة
لولا انى معهم انى اخشى انهم حرموا بسببي ويقال ارفع ما يكون المومن
اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله تعالى ارفع
عند نفسه ... بادى النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة
... قال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج
... ما كان يسبقني احد الى الباب الا ...

او سعى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال
الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القسم كانت عندنا
زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا
فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرايت النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل
وجاء رجل الى الشبلي فقال له ما انت وكان هذا دابه وعادته فقال انا النقطة
التي تحت الباء فقال له الشبلي ابادك الله شاهدك او تجعل لنفسك مكانا
وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود ويقال من راى لنفسه قيمة
فليس له من التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف قال رايت علي بن ابي طالب
رضي الله عنه في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع
بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى واحسن من ذلك
تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمن لا
يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في
الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم
ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه
عز وجل ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمن لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي
عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصايد
الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي
الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ
التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم
حسن وفي الاغنياء احسن والكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ويقال
لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا امن
الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال

ابو علي الجوزجاني النفس محمودة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى
سلوكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله تعالى به خيرا
بداه حتى نفسه ان الكبر ادرکها التواضع مع نصر الله تعالى واذا اراد ان
يأذن الحسد ونفسه ان يخفيها النصيحة مع توفيق الله عز وجل واذا اراد ان
يذل نفسه ان الحرص ادرکها القناعة مع عون الله عز وجل ٥ وعن الحسد انه
كان يقال نوم الجمعة وفي مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب لقلت ان الحسد يأكل الحسنات
التواضع عند اهل الوجد كثير ولعل مراده ان التواضع يثبت نفسه
ثم يضعها والموجد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها ٥ وعن
عمر بن سنة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة
وبين يديه غلمان واذا هم يتعوذون الناس قال ثم علت بعد حين فدخلت
على الجسر واذا انا برجل جاف جاسر طويل الشعر قال
فجعلت انظر اليه وانا متعجب فقال لي مالك تنظر الي فقلت له شهرتك برجل
رأيته بمرو ووصفت له الهيئة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال
لي ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس
وقال المعيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الامير وكان يقول ان زمانا
نشأت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء ٥ وكان عطاء السليمي اذا سمع صوت
الرعد قام وعلق واخذه بطنه كانه امراة ماخض وقال هذا مراجل يصيبكم
لو مات عطاء لاستراح الناس ٥ وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا
بترك السلام عليهم ٥ ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما
ترجوه فقال ان الرجا يكون بعد المعرفة فاين المعرفة ٥ وتفاخرت قريش
عند سلمان رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكني خلقت فرأيت قذرة ثم
نطفة مبتذلة ثم اجيفة منتنة ثم اقول فاذكر بعد ان خفق فانا اليوم ٥

قال ابو بكر رحمه الله عنه وجدنا العزم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في
التواضع ٥

بيان حقيقة الكبر وآفته ٥

اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو
اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها
تدل على ذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح
يسمى كبرا بهذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في
النفس وهو الاستراح والركون الى رؤية النفس فوق المستحق عليه ٥
الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب
فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور
ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه
فوق ذلك الغير في صفات الكمال وعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم
نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه
او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى
نفسه احقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى نفسه
مرتبة وغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره وعند هذه
الاعتقادات الكلية تحصل فيه خلق الكبر لان هذه الرؤية هي الكبر بل مبدء
الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وعزة وفرح
وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فذلك العزة والعزة
والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ
بك من نفخة الكبرياء ولذلك قال عمر اخشى ان تنفخ حتى تبلغ الثريا للذي
استشاره ان يعظ بعد صلوة الصبح فكان الانسان بهذا يرى نفسه بهذه المعاني
وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن احواله الحاصلة في
النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس

قوله تعالى ان الذين هم لا يكبرون عما عظمه الله لم يباشروها فشر الكبر
شديد العظمة وهم مع الكبرة يدعون اعمالا في الظاهر والباطن هي شر آثاره ويسمى
ذلك بكذا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه
واقصاه عن رتبته وانزله ورفع عن محل شبهه ومساواته ورأى ارتفاعه ان
يقوم ما لا ينبغي بل يجب ان استكبر عن
استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا لخدمته عتبة الباب جهل
واضافه عن مشاوراته ومقدم عليه وصاحب الطرق وارتفع عليه
المجالس واشتهر ان يبدأه بالسلام واشتهد بقضاء حوائجه ويتعجب
منه ان احتاج او اطرأ ان ترد عليه وان وعظ استنكف من القبول
وان وعظ عنف في النهي وان رد عليه شيء وبه غضب وان علم لم يرفق
بالمتعلمين واستهان بهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى الغاية
كانه ينظر الى الجمرة استخفافا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق
الكبر كثيرة وهي احصر ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا
هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقل
من يتفطن لدقائق الكبر والعلم فضلا عن عوام الناس وخفاياه تعظم
آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من
كبر وانما اضاف الدور الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين
فانها كلها اخلاق تواضع والكبر وغيره النفس تعارض تلك
الاخلاق كلها فلا بد من العلم بما يجب للمؤمن ما يجب لنفسه وفيه شيء من
الكبر ولا بد من العلم بمواضع تواضع من اخلاق المتقين وفيه العجز والتقصير
فلا بد من العلم بمواضع الكبر فانه قد يقوم على الصدق وفيه الكبر
ولا بد من علم برد الحق وفيه الكبر ولا بد من علم ترك الغضب وفيه الكبر
ولا بد من علم كظم الغيظ وفيه الكبر لا بد من علم النصح للطيف وفيه الكبر

على الصغير وفيه الكبر ولا بد من علم الاقتداء [illegible]
للمتواضعين فما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يقول عنه وغير
لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر والاحاديث في ذم الكبر
والحض على التواضع داعية الى العلم بحقيقة وشرح انواع الكبر ما يمنع من استماع
وقبول الحق والانقياد له وقد وردت الآيات الى قطع دابر الذين
قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون
ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ثم ذكر
اهل النار عذابا اشد هم عتوا على الله وقال لم يزدد عزة في نفسه الا
الكبر عتوا ○ وقال والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
وقال تعالى قال الذين استضعفوا للذين استكبروا الولا انتم لكنا مؤمنين
تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال
سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال
فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض الكتب يا حجام لا تحجم ولو نهم عن الكبر
ابن آدم خلقت من قذر فاحذر ان تتكبر وانما ولدك ابن عذرة
عليه السلام ان الرفع يضع في التسهل ولا يثبت على الصفا ذلك الذي يجد
قلب المتواضع ولا يعثر في قلب المتكبر الا مرتفع من سهل يسير
شجه ومن تطاطأ اظله واكنه ○ فهذا
فيخبر صورة الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه
يخبر الكشف عن حقيقته وقال بئس شفة الحق وغمر الباطل

بيان المتكبر عليه واقسامه ودرجاته

اعلم ان المتكبر عليه [illegible]
خلقه وقد خلق الانسان طلوقا وجهه لا ما [illegible]

[illegible] الكبر على عباده [illegible] لقبح
وهو ذم الكبر باعتبار المتكبر عليه بلا التفات
على الله وذلك هو اقبح انواع الكبر ولا مساواة له الا الجهل المحض والطغيان مثل
ما حكاه الله تعالى عن فرعون حيث ادعى الربوبية من نفسه بان يقابل رب السماء وحكى عن
نمرود فانه كان ادعى لنفسه بان يقابل رب السماء وحكى عن
جماعة من الجهلة مثل ذلك الدعوى عن كل من ادعى الربوبية من نفسه او غيره فانه لكبره
وعلوه لا يرضى ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه
جميعا يعني واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم
نفورا القسم الثاني الكبر على الناس حيث يعتقد نفسه
خيرا منهم عن الانقياد لغيره مثل تعاير الناس وذلك تارة يصدر عن الفخر
والاستطالة فيبقى في ظله الجهل بكبره فيمنع عن الانقياد وهو ظان انه محق
فيه وتارة يسمع من المعترف ولكن لا تطاوعه نفسه الانقياد للحق والتواضع
للرسول كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقوله ان انتم الا بشر
مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وقالوا لولا انزل عليه ملك
وقال فرعون فيما اخبر الله تعالى عنه او جاء معه الملئكة مقترنين قال الله تعالى
واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فنبذناهم على الله وعلى رسوله جميعا
والله اعلم قال موسى عليه السلام آمنتم لي قبل ان اذن لكم فالحق اساوزها مان
فساوزها مان وقالها مان بينما الرب يعبد اذ صرت عبدا تعبر فاستنكف
من عبودية الله ومن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما اخبر الله عنهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة الوليد بن المغيرة وابو
مسعود الثقفي طلبوا امرا عظيم رياسة من نبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا
الا تبعتم كيف يعنون الله النبا فقال يقسمون رحمة ربك وقال

[illegible] الله عليهم [illegible] استيفاز الهم واستبعادا لمقدمهم وقالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كف نجالس اراذل وعبدك مولاه اساذوا الى
فقراء المسلمين واذلتهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى الاخبر
الذين يدعون ربهم الى قوله ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا الاية
الله تعالى عن تعجبهم حتى دطواجهنم اذا لم تروا الذين يستكبرون قوله وقالوا مالنا لا
نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعني عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي
الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الكفر والمعرفة فجهل حق الله عليه
فجحد ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر
قريب من الكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع
لرسوله القسم الثالث الكبر على العباد وذلك بان يستعظم
نفسه ويستحقر غيره فنابي نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم
فيزدريهم ويستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا ان كان دون الاول والثاني
فهو ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا
بالملك القادر واما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على
شيء فمن ابن يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا
تليق الا به لا له ومثاله ان ياخذ الغلام فلسته الملك بصفها على
راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدده للجزي والنكال
فيما اشد استحقاره على مولاه وما اقبح ما يتعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله
تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص
بصفتي لا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على
عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يستحق ان يتكبر
عليهم الملك ويستخدمهم ويتصرف عليهم ويستأثر بما يحق الملك ان يستأثر

[illegible] فهو متبرج له في بعض امره وان لم يبلغ [illegible] درجة من ارتاد الكبر على [illegible]
والاستداد ذم ذلك فالخلق كلهم عباد الله وله العصمة والكبرياء عليهم
على عباد الله وقد ذم الله في حقه تعظم الفرق بينه وبين المتكبر عليه
وبين منازعه بقوله وفرعون ما هو الفرق بين منازعه المدعي استضعافه بعض
عبيده واستخدامهم وبين منازعهم في اعتقاد الوحدانية الذي الذي
يعظم به ذلك الكبر ادعوا الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا
سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتستمر لجهده ولذلك ترى
المتكبرين من اهل الدين يزعمون انهم يباحثون عن آراء الدين ثم انهم يخاصمون
لخواص المتكبرين ومنهم الفتح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتستمر
لجهده واحتياله لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين
وقد وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون وكان من باطن الغلبة والافحام لا لتفهم الحق اذا ظهر به
على ما يدعيهم من هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال
تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله عنه انه
مر بامرأة فقال لها اتقي الله فقالت من هذا الذي يأمرنا فقام رجل آخر
وقال يقول لك امير المؤمنين فقالت ما لي ولامير المؤمنين فقال المتكبر الذي خالفه والذي
امر بالكبر اذا قال له انسان اتق الله اخذته العزة بالاثم اي حملته على
المعصية وقال له اتق الله فقال له ابو امامة اتق الله فقال عليك
نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا استطعت فما رفعها بعد ذلك الى فيه وانما ضربه بالعجز
لكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى الكبر على امر الله وانما ضربه بالعجز
مثلا وما جرى مجراه لا لتعجيزه به وانه قال انا خير منه وهذا الكبر لا يستقيم
لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فجعله دليلا على ان يمتنع من السجود الذي
امره الله تعالى به فكان مبدأ الكبر على الله والحسد له لخبره ذلك على

انه يترفع على امر الله وكان ذلك سبب هلاكه ابدا الاباد فهذه آفة من آفات الكبر
على العباد عنه ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بما يعم الامرين
اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ واحب الجمال
الجمال ما ترى فمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر
الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله غمص الناس اي
ازدراءهم واستحقارهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى
وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر
اخاه واردراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد
تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن آنف من ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته
واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الله والرسل

بيان ما به التكبر

اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها
الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او
دنيوي والديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة
والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب الاول العلم وما اسرع
الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء ولا يلبث
العالم ان يعتز بعز العلم ويستشعر في نفسه جلال العلم وكماله ويستعظم
نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى الصغار ويستجهلهم ويتوقع ان
يبدأوه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه بشرا وقام له او
اجاب له دعوة رأى ذلك ضيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد
انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يتواضعوا له ويخدموه
شكرا له على ضيعه بل العالم انهم يتهمونه فلا يبشرهم ويزورونه فلا
يتفقدهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في
حوائجه فان قصر فيها استكبره عليها عبيده او اجراؤه وكان يعلمه العلم

... صلى الله عليه وسلم يقول شاهي على الناس ... من تمسك بغير ... عليه لك ... حذرا بان يفجم والعباد بالله وزطه ... الهبوط ... وجب عليه ... نوا اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بغير ما كانوا عليه ولسنا ... من حيا لغير عسره فسال الله تعالى ان يعاملنا ما هو اهله وان يستر ... سيئاتنا اعمالنا كما انه بفضله كريمه وفضله ... انتهى ... الى العمل والعباد ... لمن يحلوا عن ذيله الاعزاز الكبر واشباهه فلوب الناس الرهاد والعباد ... بزيي الحشمة والدين والدنيا امر الدنيا فهو انهم يزدون عزتهم مزيادتهم ... بهم مزيادة عزتهم وتوقيرهم والتوسع ... نزي لمن ... وحشرهم بالوبخ والنقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ ... جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكذا نهم يزدون عبادتهم منة على الله واما ... والدين فهو انه يرى الناس كلهم خيرا منه ويرى نفسه شاحيا وهو الهالك لجهلها مهما ... هذه آمن من مجزه عن خلقه من شطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره ... هذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم ... كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ... الا يزدريه ولا يحتقره ولا يستصغره ويرجو له ... الا يزدريه نفسه فالخلق يدخلون الجنة بتعظيمهم اياه والله فهم يقربون الى الله ... بالذي ذمه وهو بمقت الى الله بالكبر والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم ... ما احذرهم اذا اجتهدوا لتلاجه ان يسلمهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا ... اردزام بعينه ان يسلمه الله الى جهد الاهل كما روي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له ... طلع بني اسرائيل لحزه فساده مر برجل اذنب فقال له عابد بني اسرائيل وعاب على ... راس العابد عامة نظلة لما مر الخليع به وتمثل الخليعة في نفسه فاطلع بني ... اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه ...

... فقال العابد يا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل كيف تجلس الي فاقبل عليه ... وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد ... غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي رواية اخرى فيحولت العامة الى ... راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يزدري العبد قلوبهم فالجاهل ... والعاصي اذا تواضع ودل هيبة سوء خوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو ... اطوع سوء من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل ... الى عابد من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع قدمك لا يغفر ... الله لك فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك ولذلك قال ... الحسن وحتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان ... صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى له وصاحب الصوف يرى الفضل ... لنفسه وهذه الآفة ايضا قل ما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف ... به مستخف او آذاه مؤذ رأى استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا ... عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم ... قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله وقلة ... يسمى الحمق والغباوة بعضهم الى ان يجازى ويقول شر ورما يخرج عليه ... واذا اصيب بمكيه زعم ان ذلك مكر امابه وان الله ما ازاذبه الا لسفائه على ... والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار يستهزون الله ورسوله وعرف ... جماعة آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من مرض قبلهم ومنهم من لم يمرض ... اهله ابدا ... ولم ... فيهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم ولم ... الدنيا بلا في الاخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من آمنه وانه ... قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه ولعله في حب الله واحبابه وذكره وهو غافل ... عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واسباب الاشتمار من العباد ... فيقولون ما كان يقوله عطاء السليمي حين كان ... ...

[illegible] ما يضيهم الا تسبيني ولو مات عطاء لخلصوا وما اليه الا جزء بعد
[illegible] فيه من ذلك ازجوا الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فاطرأ الى الكبر من
[illegible] حلين تراني الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مرد زلعمله وشعبه وداء
[illegible] العجب والكبر والحسد والغل ما هو مضحكة للشيطان به منه انه يمن
[illegible] على الله بعمله ومن اعتقد كبرا انه فوق اكبر من عباد الله فقد احبط لجهله جميع
[illegible] عمله قال الجهل الخبيث المعاصي واعظمها بعد الكبر عن الله وجهله لنفسه بانه
[illegible] حقره غيره جهلا محضا وامن من مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
[illegible] ذلك ان رجلا ذكر خيرا للنبي صلى الله عليه وسلم فاثنى يوما فقالوا
[illegible] فهو هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه شفعة من الشيطان فسلم
[illegible] فقعد على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اشاك
[illegible] الله جليسك فقعد الى الشيخ القوم افضل منك قال اللهم نعم فراى رسول الله
[illegible] صلى الله عليه وسلم بوزا لبوه ما استكن في قلبه شفعة في وجهه وهذه افة لا
[illegible] تفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في افة الكبر
[illegible] على قلب باب الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى
[illegible] نفسه حقا او عزه الا انه يجهد ويواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا
[illegible] من نفسه وهذا قد رتع في قلبه سجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالخاتمة
[illegible] الحسنة ان تظهر ذلك على افعاله بان يترفع في المجالس والتقدم على
[illegible] الاقران واظهار الانفة على من يقصر في حقه واداب ذلك في العالم ان يضعف
[illegible] حلاوة المآثر وانه معرض عنها وفي العابد ان يعتبر وجهه ويتطلب
[illegible] حسنة كانه منزه عن المآثر مستقذر لها او عاص عليهم وليس يعلم
[illegible] مستكبر الا الله تعالى فانه حتى يتطلب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في
[illegible] الخد حتى يصعر ولا في القفا حتى يطأطئ ولا في الذيل حتى يضم انما الورع
[illegible] قال صلى الله عليه وسلم التقوى ها هنا واشار الى صدره فقد كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق وانقاهم وكان اوسعهم خلقا واكرمهم
بسرا وبشرا وابسطاهم وكذلك قال الحارث بن حزم الزبيدي صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طليق ضحاك فاما الذي
تلقاه مقطب بعبوس تمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله
ولو كان الله يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من
المومنين وهولاء الذين يظهرون اكبر على سيماهم واخوفهم احق جاهلا ممن
هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى
والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايه الاحوال والمقامات
والتسمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول انا معرض
المفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن ابن زهده فيطول اللسان فيهم
بالنقص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا ولا انام بالليل واختم
القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما تحرى محترز وود
يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان فهلك واراه واخذ ماله او سرق او
نحو هذا يدعي الكرامة لنفسه واما اباهاته فهو انه لو وقع مع قوم
يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصومون على الجوع فتكلف
لنفسه الصبر ليعلمهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يستدعي القتال
خوفا ان يقال غيره اعد منه واقوى منه في دين الله واما العالم فانه يفاخر
ويقول انا متقن من العلوم ومطلع على الحقايق واثبت من الشيوخ فلانا
وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت مما ادريت كذلك
ليصغره ويعظم نفسه واما اباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة
ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل
بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة ويتجمع الالفاظ ويحفظ
العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث

لفاظها واشاعتها حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله وتفضل اقرانه
فيفرح بهما اخطأوا احدهم ليرد عليه وتسوءه اداضاف واحسن خيفة
من ان يزرى انه اعظم منه فهذا خلق الكبر واما زاكى بتمرتها العجز
العلم والعمل وابرز من تخلوا عن جميع ذلك او عن بعضه فلست ممن عرف هذه
الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه
مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وهو يقول
رسول الله من اعظم الناس قدرا انما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه
تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم
تزل لنفسك قدرا فان زانت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من امر الدين
فليس العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يترى لنفسه قدرا
فهذا هو الكبر بالعلم والعمل الثالث ——— الكبر بالنسب
من انتسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع
منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيترك ان لا تراهم تواضعوا وعبدوا بانف من
تحاطتهم ومجالستهم وتسترنه على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي
يا هندي ويا ابن من زانت ومن ابوك وانا فلان بن فلان وآبائي ملوك اراكم
تتطاولون علي ومع هذا فعلمي ومالي يجزيان عن نسبي وذلك غرق دفين في النفس لا
يفك عند لتثبت وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يرى منه ذلك عند
عند الاحوال فان غلبه غضب اطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه
حتى من عرفه انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له
يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا اباذر طف الصاع طف
الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال ابوذر رحمه الله فاضطجعت
وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى
فيه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ جهل وانظر كيف تاب وكيف

قلع عن نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان الكبر لا
يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه
فقال احدهما للآخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى
الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلم عليه السلم فقال
احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلم قل للذي افتخر بل التاسع من اهل النار وانت عاشرهم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا
فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدوف
بانافها القذر ان الـــــرابع المفاخر بالجمال وذلك اكثر
ما يجري بين النساء ويدعوا ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذلك
عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
دخلت امراة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذي اي انها
قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها وهذا منشاه
خفي الكبر لانها لو كانت اينما صغيرة لما ذكرتها بالصغر وكانها
اعجبت بقامتها فاستصغرت المراة جنب نفسها فقالت ما قالت
الخـــامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في
الخزائن وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم
وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني
الفقير ويتشبه عليه ويقول له انت مكدي ومسكين وانا لو
اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت
ومالك وما معك واثاث بيتي يشوى اكثر من جميع مالك وانا انفق في
اليوم مالا تملكه في سنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره
الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر وليه
الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا

عز نفسه حتى خابه وقال ان ترني اقل منك مالا وولدا فعسى ربي
ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السما فتصبح صعيدا
زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك
متكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره وهو قوله يا بني لم
تكبر علي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال الله تعالى فخرج
على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ٥
السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر
به على اهل الضعف ٥ السابع التكبر بالانصار
والاعوان والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين
وغير ذلك من الملوك في المكاثرة بالحشود ومن تعلما في المكاثرة
بالمستفيدين وباجلة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان
لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر
على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته على صنعة المخنثين لانه يرى
ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق
قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر
به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخلا فيه ٥ فهذه مجامع
ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه
على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان
مثله او فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم
منه لظنه انه الاعلم وذلك من غوائل النفس
بيان ما ورد من الآيات والاخبار في ذم الكبر
وبيان حقيقته ٥ اعلم ان الكبر خلق باطن فاما ما يظهر من الاخلاق
والافعال فهي ثمرته ونتيجته وينبغي ان يسمى تكبرا وتخصص اسم
الكبر بالباطن الذي هو اساس عظام النفس ورؤيته قدر لها

فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب فلنبين اسبابه في
معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وعمله او شيء من صفاته استعظم
نفسه وتكبر واما التكبر الظاهر فاسبابه ثلثة سبب
في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما
اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق
بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو
الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة اما العجب
فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر
الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد
يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او
فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب
حقدا اورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا نطاوعه نفسه ان يتواضع
له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا نطاوعه
النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه له وتحمله
ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى
ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا
يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو
جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود
وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو
الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم
فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه
ان يستفيد ممن هو واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا او بغيا عليه
فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع

بفضل الحلمة ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبر وان كان
في باطنه ليس يرى نفسه فوقه ٥ واما الرياء فهو ايضا يدعوا
الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من هو افضل منه وليس
بينه وبينه معرفته ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق
منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل
منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه
بنفسه لكان لا يتكبر عليه ٥ واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد
او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث ٥
وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم
يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في
المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة
والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه
لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال
المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل
هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى
الغير بعين الاحتقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال
المتكبر ٥ بيان اخلاق المتواضعين ومجامع
ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر ٥ اعلم ان التكبر يظهر في
مشي الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه
وجلوسه مترفعا ومتكبرا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته
وصيغته في الايراد ويظهر في مشيه وتبختره وقيامه وجلوسه
وفي حكاياته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر
شمائله في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك

كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنهم المتكبر
بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال صلى الله عليه وسلم من
اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين
يديه قوم قيام ٥ وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته
لذلك ٥ ومنهم من لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال
ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا اذا مشى خلفه وكان
عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عندهم في
صوره ظاهره ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال
ما يبقى هذا من قلب العبد ٥ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي خلف
الغمار اما للتعليم غيره واما ليتفي عن نفسه وسواس الشيطان
بالكبر والعجب كما اخرج الثوب الجديد في الصلوة وابدله
بالخليع لاجل هذين المعنيين ٥ ومنهم من لا يزور غيره
وان كان تحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع
روي ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابرهيم بن ادهم ان
تعال فحدثنا فجاءهم سفين فقيل له يا ابا اسحق بعث اليه فلم
هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه ٥ ومنهم
ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه
والتواضع خلافه ٥ قال ابن وهب جلست الى عبد العزيز
بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فتحيت تقسى عنه فاخذ يلي
فجرني الى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة
واني لا اعرف منكم شرا مني ٥ وقال انس كانت الوليدة

من [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

حتى بلغت [illegible] ومنها [illegible] ومنها

[illegible] المعلولة ويجتنبى عنهم وهو من الكبر دخل رجل

[illegible] فلم يفسح عنى سوء [illegible] صلى الله عليه وسلم

[illegible] كلهن فى مجلس فى احد الاوقات حسد وحسده

[illegible] صلى الله عليه وسلم لجسمه وكان عبد الله بن عمر يجلس

[illegible] محمد مجلسا ولا يرضى ولا ينبغى لاحد قعدهم على مدينة

ومنها [illegible] فى بعض فى بلد فتعلق بثوبه وقال

[illegible] بن عمر عن عبد العزيز انه صرف وكيل بيت

[illegible] السراج بطفئ فقال الضيف قوم الى المصباح وصلحه

[illegible] من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه وقال ذهبت

[illegible] عمر ورجعت وابن عمر وجبر الناس من كان عند له منهم

ومنها [illegible] الى باحد متاعه وحمله الى بيته وهو حلف

[illegible] هو معين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك

[illegible] على كرم الله وجهه لا ينقص لرجل من كماله ما حمل من

[illegible] الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا

[illegible] حتى الى الحمام وقال ثابت بن ابى مالك رايت ابا هريرة

[illegible] السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان

وقال اوسع الطريق للامير يابن ابى مالك وعن الاصبغ بن

[illegible] قال كانى انظر الى عمر رضى الله عنه معلقا الدرة بيده

اليسرى ويده اليمنى الدرة يدور فى الاسواق حتى دخل رحله

وقال بعضهم رايت عليا رضى الله عنه اشترى لحما بدرهم فجعله

فى الجفنة فقلت له اجل عنك يا امير المومنين قال لا ابو العيال الحق

ان تحملوه ومنها اللباس ان يظهر به التكبر والتواضع

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هرون سالت

معنا عن البذاذة فقال هو الرون من اللباس وقال زيد بن وهب

رايت عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه

ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم وعوتب على

كرم الله وجهه فى ازار مرقوع فقال يقتدى به المومن ويتسع

اه القلب وقال عيسى عليه السلم جودة الثياب خيلاء القلب

وقال طاوس انى لاغسل ثوبى هذين فانكر قلبى ما دمت لابسهما

ويروى ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه كان قبل ان يستخلف

تشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة

فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول

ما اجودة لولا لينه فقيل له ابن لباسك ومركبك وعطرك

فقال انى لى نفسا ذواقة توّاقة وانها لم تذق الدنيا طبقة

الا تاقت الى الطبقة التى فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهى

ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن

سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص

مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير

المومنين ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس ملتا ثم رفع

راسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان فضل العفو عند

القدرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله

ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وهو يقدر عليها كان حقا

على الله ان يدخر له عبقريّ الجنه ؟ فان قلت فقد قال عيسى
عليه السلم جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل النبي صلى الله عليه
وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من
سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما ؟ فاعلم
ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون مزينا له في حق كل احد
في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني
احب ان احب الي من الجمال ما ترى فعرفه ان ميله الى النظافة في
وجوده الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون
من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون
قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل
اذا راءه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة
طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء وفي خلوته وحتى في شعور
داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال تنزل قول عيسى
عليه السلم على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعني
قد يورث خيلاء القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه
ليس من كبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه
الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجمله فالاحوال تختلف في مثل
هذا المحبوب الوسط من المباح الذي لا يوجب شهرة بالجوده ولا
بالرداله وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا
في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده
وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك وامشوا قلوبكم
بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل

الصلاح وقد قال عيسى عليه السلم مالكم تاتوني وعليكم ثياب
الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك
والبسوا قلوبكم الخشية ومنها ان يتواضع بالاجتماع
الناس وقد رأى واحد فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل
عن السلف من جماع الاذى في كتاب الغضب والحسبة وبجماعه
فجامع حسن الخلق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا ينبغي ان يقتدى وبه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة
قلت لابي سعيد حدثني بما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب
والمركب والمنعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله
وكل ما شئت من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو
معضيه وقد قال عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعالف الناضح ويعقل البعير
ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل
مع خادمه ويطحن عند الاعيا والشبع الشيء من الشوق والامتعه
الجيدة ان يعتقد بها او يعجب بها او يطرف بها فيقلب الى الهله نصف
الغنى والفقه والمعرفة والحكمة والسلم مبتدأ على كل من
استفاده من معرفة وحكمة اسود او احمر حر او عبد من اهل
الصدق فيسأله مسألة جاهل لمدخله وخلة لمخرجه لا يستحي من
يجيب اذا دعي ويحب اذا سئل اعفه ولا يخجل مما دعي اليه والسلم
يجانب الجشف الرفيع ويرفع عن العشار والاعشاء ويعقل البعير
ويمشي له ويبدأ الى اهل الكرم الطبيعة جميل المعاشرة طلق
الوجه بسام مع غير تجهم ومن غير عبوس شديد
وعن غير ضحك مفرط وعن ما له من عرض في

ابو الدرداء اعلم ان لله تعالى عبادا يقال لهم الابدال خلف من
الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوما
من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلوة
ولا حسن حلية لكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر
لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر تخبتون وتواضع
غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم
اربعون صديقا تلتون رجلا قلوبهم على مثل قلب ابرهيم خليل
الرحمن عليه السلم لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ
من تخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا
تحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا تحسد وزاجدا ولا تحرصون
على الدنيا هم اطيب الناس خبرا وانبلهم عريكة واسخاهم
نفسا علانيتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة
ليسوا اليوم في خشيته وغدا في غفلة ولكن مداومين على
حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح
العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله
واشتياقا اليه وقد مان في اشتياق الخيرات اولئك حزب الله
وحزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء
ما سمعت بصفة اشد على من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها
فقال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا
فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الاخرة وبقدر حبك
للاخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم
من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة
واعلم يا بني اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين

اجمه لخلدوني ومسلم رفيق لقلب دينا لا عروق شرقط
من شبع ولم يده الى طمع قال ابو سلمة فرحت عن عنده
عني الله عنها وارضاها من فحدثتها بما قال لي معاذ فقالت
احطاجرفا ولقد قص ما احدث رسول الله عن عنده
متى قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكنت اخف
احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليعارضني سوى بيته
حتى اصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه
فعل ذي يكور الارض وتمايها ورغد عيشها من مسرفهم
معاذ بها انفعل وربما بكيت رحمة لما يرى من جوعه ومسح
بعد بدي وقول نفسي لك الفداء لو نلت من هذا الدنيا لقدرت
على ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة حولي مر اولي العزم
من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا
على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم واجدني استحي ان ترفهت
في معيشتي لتقصري دونهم فاصير بامر يسيرة احب الي من
ان يصيبني عدد الاخرة وما من شيء احب الي من يحبوا خوني
على وكانت عايشة رضي الله عنها قوله ما استكمل بعد نبيك
جوعه حتى قبضه الله عز وجل فما انقلب من جوعه صلى الله عليه
وسلم حملة من حلال ولمتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به
ومن رغب في الفقر فليقتد به في جوعه صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما
رضي به لها اذ جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصبا في
الدين والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال
عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز
بغيره لما غبت في بزاذه هيئته عند دخوله الشام وقال

نهوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ
المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته ٥ بيان
الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع ٥ اعلم ان
الكبر من المهلكات ولا تخلوا احد من الخلق عن شيء منه وازالته
فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية
القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله
من نفسه وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العارض
منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره ٥
المقام الاول في استيصال اصله وعلاجه
علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان
يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما
عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل كل ذليل واقل من كل
قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه
علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله ٥ اما معرفته ربه
وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة
واما معرفته نفسه فهي ايضا تطول ولكنا نذكر من ذلك
ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى
فيه واحدة في كتاب الله تعالى فان في القرآن علم الاولين
والاخرين لمن فتح الله بصيرته وقد قال الله تعالى قتل
الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت
الآية الى اول خلق الانسان والى اخر امره والى وسطه فلينظر
الانسان ذلك وليفهم معنى هذه الآية اما اول الانسان

فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا بل لم
يكن لعدمه اول واي شيء اخس واقل من المحو والعدم وقد
كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء ثم من اقذرها
اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم
جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بدايته ووجوده
حيث صار شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا الا وهو على
اخس الاوصاف والنعوت اذ لم تخلق في ابتدائه كاملا بل
خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا
ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حياته
وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه
قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره
قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اي شيء خلقه من
نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هدى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج
كذلك خلقه اولا ثم امته عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه
اشارة الى ما تيسر له في مدة حياته الى الموت ولذلك قال من
نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه
السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا تراب
اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما
كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل
وخلق له الاعضاء بما فيها من العجايب والابدان بعد الفقد
لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد
العري وهداه بعد الضلال وامهر في دبره وصوره

والى السبيل كيف يسّره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل
الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفه فاذا هو خصيم مبين ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم
اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمه الله عليه كيف نقله
من تلك الذله والقله والخسّه والقذاره الى هذه الرفعه والكرامه
فصار موجودا بعد العدم وحيّا بعد الموت وناطقا بعد
البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل
وهاديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر
فكان في ذاته لا شئ وأيّ شئ اخسّ ممن لا شئ واى قله أقلّ من
العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل
والنطفه القذره بعد العدم المحض ليعرّفه خسّة ذاته فيعرف
به نفسه وانما اكمل النعمه عليه ليعرف بها ربّه ويعلم بها
عظمته وجلاله وانه لا تليق الكبريا الا به ولذلك امتنّ عليه
فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين
وعرّف خسّته اولا فقال الم يك نطفه من منيّ يمنى ثم كان
علقه ثم ذكر منّته فقال فخلق فسوّى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده
ابتداء بالاختراع فمن كان هذا مبدوه وهذه احواله فمن اين
له البطر والكبريا والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخسّ
الاخسّاء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوّض اليه امره
وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى
ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائله والاسقام
العظيمه والافات المختلفه والطبايع المتضاده من المره والبلغم

والريح والدم يتهدم البعض من اجزايه البعض شاء ام ابى رضى ام سخط
فيجوع ويعرى ويعطش ويمرض ويهرم ويموت كرها لا
يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشئ
فيجهله ويريد ان يذكر الشئ فينساه ويريد ان ينسى الشئ ويغفل
عنه فلا يغفل عنه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيحول
او ديه الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه
ولا نفسه نفسه يشتهي الشئ وربما يكون هلاكه فيه ويكره
الشئ وتكون حياته فيه يستلذ الاطعمه وتهلكه وتردیه
ويستبشع الادويه وهي تنفعه وحميه لا يامن في لحظه من سلب
ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وثفلج اعضاوه وتختلس عقله
وتختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر
ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على
شئ من نفسه ولا من غيره فاي شئ اذل منه لو عرف نفسه
وآتى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتامله
واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله
تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب
روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسّه وادراكه وحركته
فيعود جمادا كما كان اول مره لا يبقى الا اشكال اعضايه وصورته
ولا حسّ فيه ولا حركه ثم يوضع في التراب فيصير جيفه
منتنه قذره كما كان في الاول نطفه مذره ثم تبلى اعضاوه
وتتفتت اجزاوه وتخرّ عظامه فيصير رميما وزفاتا ويأكل
الدود اجزاءه فيبلى بحذقته فتقلعها وحدته فيقطعها
وبساير اجزايه فيصير رونا في افواه الدود ويكون جيفة

يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشده
الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا تعمل
منه الكيزان ويعمر به البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان
موجودا او صار كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان في اول
مره امدا مديدا او لبثه بقي كذلك فما احسنه لو ترك كذلك
ترابا لا بل خبيثه بعد طول البلى ليقاسي شدايد البلا فيخرج
من قبره بعد جمع اجزايه المتفرقه ويخرج الى اهوال القيامه
فينظر الى قيامه قايمه وسماء ممزقه مشققه وارض مبدله
وجبال مسيره ونجوم منكدره وشمس منكسفه واحوال
مظلمه وملايكه غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنه تزلف ينظر
اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشوره فيقال له اقرا كتابك
فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت
تفرح بها وتبطر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان
عليك ما تنطق به او تهمله من قليل وكثير وصغير وكبير
وفتيل ونقير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك
حصاه الله فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى
دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان
تنشر الصحيفه ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال
ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيره ولا كبيره الا احصاها
هذا احد امره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فما لمن
هذا حاله وللتكبر بماله وللفرح في لحظه فضلا عن البطر
والتجبر فقد ظهر له اوائل حاله ووسطه ولو ظهر اخره والعياذ
بالله ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا البصير مع البهايم

ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا
للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب واخره
التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير
لا يهرب منه الخلق ولو راى اهل الدنيا العبد المذنب في النار
لهربوا منه من وحشه خلقته وقبح صورته ولو وجدوا رائحته
لماتوا من نتنه ولو وقعت قطره من شرابه الذي يسقى منه في بحار
الدنيا لصارت انتن من الجيفه فمن هذا حاله في العاقبه الا ان
يعفا عنه وهو على ذلك من العفو وكيف يتكبر وكيف
يرى نفسه سيدا حتى يعتقد له فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا
استحق به العقوبه الا ان يعفو الكريم بفضله ارايت
من جنى على بعض المولد بما استحق به الف سوط فحبس
في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض وقد اقام عليه العقوبه
على ملا من الخلق وليس يدري ان يعفى عنه او لا فيكون
ذله في السجن افضل من انه يتنعم سالما في السجن من عذاب
مولاه الا ترى الى ما يستحقه قاتل العقوبه من الله تعالى
ولا يدري هل يعفو عنه او لا فيعيد ذلك خزيا وخوفا
والتفاوت فيما بينهما ولا يدري هذا العلاج العظيم
لاصل الجهل وهو
التوقع بالله تعالى ولسابغ نعمه وما عوده من
منه فعرفنا ما سمعناه وحكمناه من احوال الصالحين
ومراجعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان
باكيا على الارض ويقول انا ابعد
وقيل لسفيان لم لا

يا عبد فاذا اعتقت يوما لبست ائتار به الى العتق في الاخره ولا يتم
التواضع بعد المعرفه الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا
على الله ورسوله بالايمان والصلوه جميعا وقيل الصلوه عماد
الدين وفي الصلوه اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها
من التواضع بالمثول قايما والركوع والسجود وقد كان العرب
قديما يانفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني
لاخذه ويقطع شراك نعله فلا ينكش رسغه لاصلاحه حتى قال
حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا
قايما فما بعد النبي صلى الله عليه وسلم تم فقهه وعمل ايمانه بعد
ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذله والضعه
امروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم وبوادر كبرهم ويستقر
التواضع في قلوبهم وبدا امر سيد الخلق فان الركوع والسجود
المثول قايما هو الذي يقتضيه التواضع فكذلك
يعرف نفسه ويضطر كل ما يبقى فيه اثاره الكبر من الافعال
فيبقى الله تعالى يقتضيه حتى يحصل له التواضع خلقا فان
القلوب لا تخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا
[illegible] القلب والجوارح وسر
[illegible] عالم الملك وعالم الملكوت والقلب
[illegible] المقام الثاني
[illegible] بالاسباب السبعه المذكوره
[illegible] كتاب ذم الجاه ان الكمال
[illegible] والعمل فاما ما عداه
[illegible] وهمي فمن هذا

يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم
والعمل وجميع الاسباب السبعه السبب الاول
النسب فمن يعتريه الكبر من جهه النسب فلذا وقلته
يعرفه امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تكبر بكمال
غيره ولذلك قيل

لئن فخرت باباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن يتكبر
خسته كمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حقا لكان
حقه ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت دوده خلقت
من بول لي افترى ان الدوده التي هي مربوله انسان اشرف
فالدوده التي هي مربوله فرس هيهات فهما متساويان
والشرف للانسان لا للدودتين والثاني هو ان يعرف نسبه
الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفه قذره
وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال
الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل
نسله من سلاله من ماء مهين فمن اصله التراب الذي يداس
بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر ولخس
الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا اذل من التراب ولقذر من
الحمأة ويا اقذر من المضغه فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه
من التراب فيفوت افتخاره بالقرب دون البعد فالنطفه
والمضغه اقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان
ذلك يوجب رفعه لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن ابن
رفعته واذ لم يكن له رفعه فمن اين جاءت الرفعه لولده

وادن اصله من التراب وفضله من النطفه فلا اصل له ولا فضل وهذه
غايه خسته النسب فالاصل يوطى بالاقدام والفضل تغسل منه
الايدان فهذا هو النسب الحقيقى للانسان ومن عرفه لم يتكبر
بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفه وانكشاف الغطاء عن
حقيقه اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد اخبره
بذلك والداه فلم تزل فيه لخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره
عدل لا يشك فى قولهم انه ابن هندى حجام يتعاطى
الفاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك فى
صدقهم افترى ان ذلك يبقى شيئا مذكورا لا بل يصير عند نفسه
احقر الناس واراذلهم فهو من استشعار الخزى لخسته فى شغل
عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر فى اصله وعلم
انه من النطفه والمضغه والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل
التراب او يتعاطى الدم بالحجامه او غيرها لكان يعلم به خسة نفسه
لمماسته اعضا ابيه التراب والدم فكيف اذا عرف انه فى نفسه
من التراب والدم والاشياء القذره التى يتنزه منها هو فى نفسه ٥

السبب الثانى الكبر بالجمال ودواوه ان ينظر الى
باطنه نظر العقلا ولا ينظر الى الظاهر نظر البهايم ومهما
نظر الى باطنه من الفضايح ما يقدر عليه تعززه بجماله فانه
وكل به الاقذار فى جميع اجزايه الرجيع فى امعايه والبول فى
مثانته والمخاط فى انفه والبزاق فى فيه والوسخ فى اذنيه
والدم فى عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه
يغسل الغايط كل يوم دفعة او دفعتين ويتردد الى الخلا
كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره

فضلا من ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله وهذا
فى جماله وفى اول امره خلق من الاقذار الشنيعه الصور من النطفه ودم
الحيض واخرج فى مجرى الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر
مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال
انس رحمه الله كان ابو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقذر
لنا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين ولذلك قال
طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من فى بطنه خرء
اذ راه يتبختر وذلك قبل خلافته هذا اوله ووسطه ولو
ترك نفسه فى حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل
لثارت منه الانتان والاقذار وصار اقذر وانتن من الدواب
المهملة التى لا يتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن
فى اقذار وخلق من اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سايير
الاقذار لم يفتخر بجماله الذى هو كمخرج الدم وكلون الازهار
فى البوادن بينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف
ولو كان جماله باقيا وعرهذه القبايح خاليا لكان يجب ان لا
يتكبر على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينقيه ولا كان جمال
الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو فى كل حاله يتصور
ان يزول بمرض وجدرى وقرحه وسبب من الاسباب فكم
من وجوه جميله قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفه هذه الامور
تنتزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تاملها ٥

السبب الثالث التكبر بالقوه والايد وتمنعه
من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو
توجع عرق واحد فى يده لصار اعجز من كل عاجز ولو

من كل دليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان
بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته وان شوكة
لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته مالا
يحتمل في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر
على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم
اقوى انسان لا يكون اقوى من حمار او بقره او فيل او جمل والتي
يختار في صفة نسبتك البهائم فبهذا السبب
الرابع الغنى وكثرة المال ومعناه كثرة الاتباع والانصار
والتكثر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكثر
بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا
يسمى تواضع التكبر قال لمتكبر بماله كانه متكبر بفرسه ودابه ولو
سلب فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكثر بتمكين
السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى مرة على قلب هو
اشد عليانا من لقدر فان تغير عليه كان اذل الخلق فكل
متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى
جاهل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاق
منه في تمسبك به اليهود واف لشرف ياخذه السارق في
لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته
وما في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الاخرة وبال ونكال
فالمفاخرة به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من
هذه الامور ليس اليك بالى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه
زال وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شيء فمن عرف ذلك لا بد
ان يزول كبره ومثاله ان يفتخر العاقل بقوته وجماله وماله

وخربته واستقلاله وكثرة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد
عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان
ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم في ماله
فاخذه واخذ جميع ما في يديه وهو يخشى مع ذلك ان يعاقبه وينكل
به لافراطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له
مالكا قاهرا عظم العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت
به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من
كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا
الى الخلاص البتة افترى ان من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته
وقوته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل
بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه
واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام
هي كالعقارب والحيات تخاف منها الهلاك فمن هذا حاله
لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا
طريق علاج التكبر بالاسباب وهو اهون من علاج التكبر
بالعلم والعمل فانهما كما لان في النفس جديران بان يفرح بهما
ولكن في التكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره
السبب الخامس التكبر بالعلم وهذه اعظم
الافات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة
شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم
عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما
اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب ان للعلم
طغيانا كطغيان الما ولذلك قال عمر رضي الله عنه العالم

اذا زل بزلته عالم فيحجز العالم عن ان يستعظم نفسه بما اضافه
الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضايل العلم ولن يقدر العالم على
دفع الكبر الا بمعرفته امرين احدهما ان يعلم ان جهه الله على اهل
العلم اوكد وانه لا يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من الجاهل العالم
وانه من عصى الله عن معرفه وعلم فجنايته اخشن اذ لم يقض حق
نعمه الله عليه في العلم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يوتى
بالعالم يوم القيامه فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدورون بها
كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول
كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر واتيه وقد مثل الله سبحانه
من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التوريه
ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علما اليهود وقال
في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبا الذي آتيناه ايانا فانسلخ منها
حتى بلغ فمثله كمثل الكلب وقال ابن عباس رضي الله عنهما
كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اي سواء آتيته الحكمه او لم تؤته فلا يدع شهوته ويكفي
العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر
بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافه الى
الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره
اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك
وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثره اعدايه فانه
اذا اخذ وقهر استحق ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم
يشتهي في الاخره سلامه الجهال والعياذ بالله منه فهذا
الخطر لمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخزي افضل

منه فحيث يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر عند نفسه من
الصحابه وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي وياخذ الاخر لبنة
من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه اللبنة ويقول الآخر ليتني كنت
طيرا كاد لكخوفا من خطر العاقبه فكانوا يرون انفسهم اسوء
حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فكره في الخطر الذي هو بصدده
زال بالكليه عجبه ورايه لنفسه كانه شر الخلق ومثاله عبد امره
سيده بامور فشرع في بعضها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها
وشك في بعضها انه هل ادّاه على ما يرتضيه سيده او لا فاخبر بخبر ان
مولاه قد ارسل اليه رسولا ليخرجه من كل ما هو فيه غريبا ذليلا ويلقيه
على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به
المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم
امر به الى سجن مضيق وعذاب دايم لا يتروح عنه ساعة وقد علم ان
سيده قد فعل بطوايف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا
يدري انه من اي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسر نفسه
وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على
احد من الخلق بل يتواضع رجاء ان يكون هو ممن شفع فيه عند نزول
العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه
لجنايات على جوارحه وبذنوب باطنه من الرياء والحسد والعجب
والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره
لامحاله ن الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق
الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا
وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا
مالم تر لنفسك قدرا وان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا يد

وان يكلف نفسه ما تحب مولاه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان
يستيقن انه لا ذنب له مثلا لو تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبيا
اذ علموا ان من نازع الله رداء الكبر قصمه وقد امرهم الله بان
يصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يحثه
على التواضع لا محاله فان قلت فكيف يتواضع للفاسق
الظاهر الفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم بخاتمة
وكيف تجهل فضل العلم والعباده عند الله تعالى وكيف يغتنيه
التخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع
اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمه بل لو
نظر الى الكافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر
فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر فالكبير
من هو كبير عند الله في الاخره والكبر اعلى رتبة
ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم
نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره
وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر وجده
وانحرافه مطويه عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى
العاقبه وجميع الفضايل في الدنيا تراد للعاقبه فاذن حق
العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال هذا عصى الله
بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم قال هذا
قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه
سنا قال هذا طاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى
صغير قال انا عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى
مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي

بما هو عليه الآن فليشتد دوام الهدايه الى ان لم يكن انتزاعها الى فهذا حق
الخاتمه يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم بان
الكمال في سعاده الاخره والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا
بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن
حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب
بخوفه فعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق يسوءه الظن
مواقع وشفقته على الانسان على نفسه واذا حبس جماعة في حبايه
ووعد وا بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض
وان عمهم الخطر اشتغل كل واحد هم بنفسه عن الالتفات
الى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره قال
قلت فكيف ابغض المبتدع لله وابغض الفاسق وقد
امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما الجمع بينهما متناقض
فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على كثير الخلق ادع مزح غضبك
لله في انكار البدعه والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع
فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى فاسقا حلس بجنبه
ازعجه من عنده وتنزه منه بكبر نفسه وهو طن انه قد
غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على
المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن الكبر على الفاسق
والمبتدع يشبه الغضب لله وهو مخطئ فان الغضبان ايضا يتكبر
على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما ثم الاخر ووجه
وهما ممتزجان ملتبسان لا تميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك
عن هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهده المبتدع او الفاسق
او عند امرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلثة امور احدها

الفائك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عندك قدرك
في عينك والثاني ان تكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد
الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فالله المنه فيه
لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر
والثالث ملاحظة ايام عافيتك وعافيته انه ربما ختم لك بالسوء
وختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت
فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول ان تغضب لمولاك
وسيدك اذا مر بك من تغضب لا لنفسك وانتزع غضبك لا ترى
نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك لما
علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة
واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر
على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول ان كان للملك
غلام وولد هو قرة عينيه وقد وكل الغلام بالولد لمراقبته وامره
ان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه
وان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا بد ان يغضب مهما
رأى ولده قد اساء الادب وانما يتأسف عليه لمولاه ولانه امره به
ولانه يوبخ الضرب بامتثال امره اليه ولانه ان جرى من ولده ما يكره
مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر عليه بل هو متواضع له
يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام
واذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك
يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما
عند الله في الاخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما
سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك

فتغضب لحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكره مع التواضع
لمن تجوز ان يكون عنده اقرب منك في الاخرة فهكذا يكون بغض
العلماء الاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه
يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة
وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله واعتقد
البدعة مع الغضب عليه ومجانبته لحكم الامر السابع
السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على
العباد وسببه ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان
يعلم ان من تفقد عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان
لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل تستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل
العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد
في فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا
عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكم
ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فكذلك يمكن ان يكون وسيلة
له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار
بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحقر
عالما بل يجب عليه ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي
ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم
ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر
مشكوك فيها فيحتمل ان يموت فجأة فيكون حاله عند الله استد
من حال اخيه الفاسق لدب واحد كان يحسبه هيتا

وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه
خايفا فاذن كل واحد من العالم والعابد خايف على نفسه وقد خلف
امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف
وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا
حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم ينقسمون في
حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور
فلعله اقل منه ذنوبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله
واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من ذنوبه الا ما تزيد
عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه ولا يمكن ان
تقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول
العمر لا تقدر على احصايه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان
ذنوبه اشد كما لو رايت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا
ينبغي ان تتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل
واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله وتخيل الخطا فيه
ذلك كله ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من
خفايا الذنوب ما صرت عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق
الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب لله واخلاص وخوف
وتعظيم ما انت خال عنه وقد يكفر ذلك سيئاته فينكشف
الغطا يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن
والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت
مشفقا على نفسك فلا تنفك فيما هو ممكن لغيرك بل ما هو
خوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وتعذيب
غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر

كان عندك شغل شاغل من التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك
وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر
خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما
العاشرة بها شاد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا
منه وانما الناس عنده فرقتان ففرقة هي افضل منه وارفع
وفرقة هي شر منه وادنا فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه
ان رأى من هو خير منه كسره ذلك وتمنى ان يلحق به وان رأى من
هو شر منه قال لعل هذا يخير واهلك انا فلا ترى لاحدا من
العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري
لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه
ويختم له باحسن الاعمال ويرى ظاهر فذلك شر لي قد يأمن
فيما اظهره من الطاعة ان يكون دخلها الرياء فاحبطهم فا
فحسد حمل عقله وشاد اهل زمانه فهذا كلامه وباجمله من حق
يكون عند الله شقيا وقد سبق القضا الازلي بسعادته
سبيل الى ان يتكبر لحال من الاحوال نعم اذا علمت
راى كل احد خيرا من نفسه ذلك فضيلة كما روي
عابدا اوى الى جبل فقيل له في النوم انك فلانا الاسكاف
ان يدعو لك فاتاه فسأله عن عمله فاذا هو
ويكتسب فيتصدق بعضه ويطعم عياله بعضه
وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس
الله واتى في النوم ثانيا وقيل له ايت الاسكاف
ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فسأله
احدا من الناس الا وقع له انه سيحوز

[illegible] بهذه الآية على فضيلته هذا اذا حملناه على قوله تعالى يوتون ما
اتوا وقلوبهم وجلة اى يوتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها
وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا
قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله الملائكة مع تقدسهم عن
الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدؤوب بالاشفاق فقال
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشيته ربهم مشفقون
فما زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف
عند خاتمة الاجل علت الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر
وهو سبب الهلاك والكبر دليل الامن والامن من المهلك والتواضع
دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر
واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه
بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا
محالة لان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي التواضع
والكبر وهم حسادة واذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها
ليس بين وعظها وبين هذا فرق فمن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المراد به
مجرد المعرفة بل ينبغي ان تكمل بالعمل وتجرب بافعال
التواضع من هضم [illegible] مع هيجان الكبر من النفس وبيانه
[illegible] النفس بخمس امتحانات هي ادلة
[illegible] استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات
[illegible] الامتحان الاول
[illegible] مع واحد من اقرانه فان ظهر
[illegible] صاحبه فثقل عليه قبوله
[illegible] اعتراف به والشكر له على تنبيهه

وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله
فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فان يذكر نفسه
خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما
بالعمل فان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق
فيطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكر على
الاسعاده ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه
فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها
ينبغي ان يشكر من له عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية
صار ذلك طبعا له فيسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله وبهما
ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل
عليه في الخلوة وثقل في الملا فلس فيه كبر وانما فيه رياء
فليعالج الرياء بما ذكرناه في قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب
بان منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك
من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر
والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني
فليعالج كلي الدائين فانهما جميعا مهلكان [illegible] الامتحان
الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على
نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور دونهم فان ثقل ذلك
عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله
فبذلك يزايله الكبر وهاهنا الشيطان مكيده وهو ان يجلس
في صف النعال ويجعل بينه وبين الاقران بعض الاراذل فيظن
ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين
اذ يتوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون

ر تكبر وتكبرا فهما التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اتراته ويجلس
جنبهم ولا يخط عنهم الى وصف الخلال فذلك هو الذي يخرج خبث
الكبر الباطن ٥ الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير
ولا يمشي الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو
كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل
فهوة النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فلا يشتغل دار الله بالمواظبة
عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تخرب دار الكبر ٥
الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله
من السوق الى البيت فان اباه نفسه فهو كبر او رياء
فان حمل بعض ذلك عليه مع بعض الطرق فهو كبر وان كان لا يثقل
عليه لاعتياد مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله
المهلكة فان لم يتدارك وقد اضمحل الناس قلب القلوب وتشغلوا
بقطب الاجسام دون الاحساد وركنت عليها الموت لا محالة والقلوب
لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب
سليم وروي عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له
يا ابا يوسف وقد كفاك غلمانك وبيدك ما يكفونك قال اجل
ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما
اعطته من الجزع على ترك الانفة حتى جربها هي صادفها
كاذبة وفي الخبر من حمل لفاكهة والبقل فقد برئ من الكبر ٥
الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بدنة وان يغير
النفس عن ذلك الا لرياء وفي اخباره كثيرة وكان عمر رضي الله
تعالى عنه يلبسه بالليل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
من عقل البعير ولبس الصوف وقد [illegible] الكبر [illegible]

صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس
البعير واعقل اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي
فليس مني ٥ وروي ان ابا موسى الاشعري قيل له ان اقواما يتخلفون
عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس ٥ وهذه
مواضع تجتمع فيها الرياء والكبر فما لم تختبر نفسك فيها فهو الرد ومن
يكون في الخلوة فهو اكبر فليتعرف فان من لا يعرف الشر
لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه ٥ بيان
غايته الرياضة وخلق التواضع ٥ اعلم ان هذا الخلق كسائر
الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى
تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى بخسا وشنة
والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع عن مذلة ومن
غير تخاسس فان لكل طرف فضلا من المروءة وحث الامور
الى الله اوساطها فمن يتقدم على اقرانه فهو متكبر ومن تأخر
عنهم فهو متواضع اي وضع نفسه في مرتبة دون مرتبته والعالم
اذا دخل عليه اسكاف فينبغي ان يقوم عن مجلسه ويجلسه فيه ثم يتقدم
ويسوي له نعله ويعد الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وذل
وهو بضاعة محمودة بل المحمود عند الله العدل وهو رعاية كل
ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع لمتابعة الحق لا فوقه ولا مثله
ولم ينقل عنه [illegible] للسوق والقيام
والمشي في الكلام والرفق [illegible] واجابة دعوته
والسعي في حاجته وامتثال [illegible] خيرا منه بل يكون على [illegible]
فلا يحقره ولا يستصغر [illegible]

امره وخالقته فاذن سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران
ويمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود ومحاسن العلاات
ويزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق
التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا
متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل اسهوله من غير ثقل
ومن غير رويه فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعايه
قدره حتى احب التملق والتخاشع فقد خرج الى طرف النقصان
فليرفع نفسه اذ ليس للمومن ان يذل نفسه الى ان يعود الى
الهبط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غاض من هذا الخلق
ومن سايرالاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو
التملق اهون من الميل الى طرف الزياده بالتكبر كما ان الميل الى
طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل
فنهايه التبذير وبهايه البخل مذمومان واحدهما افحش
وكذلك نهايه التكبر ونهايه التضيع والتذلل مذمومان
احدهما اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور
بمواضعها كما يجب وعلى الكسب على ما يعرف ذلك بالشرع
العباد والله اعلم على هذا القدر من بيان اخلاق الكبر
وتواضع
والله اعلم

ربع الثاني من الكتاب

المحبة وفيه

بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلة وحدها
وبيان علاج العجب على الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل
علاجه ه بيان ذم العجب واقاته اعلم ان العجب
مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وذكر ذلك في معرض الانكار وقال
تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم
يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال
تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى
العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو محطي فيه كما يعجب
بعمل هو فيه مصيب وقال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ه وقال لابي
يعلى حين ذكر آخر هذه الامة فقال ارايت شحيحا
مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه وعلمه
نفسك وقال ابن مسعود الهلاك في خصلتين القنوط في
وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بسعي والطلب
والجد والتشمير والقنوط لا يسعى ولا يطلب والعجب يعتقد
انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب
والمحال لا يطلب والسعادة هو حصول في اعتقاد العجب
حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فبهما جمع سببي
وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال ابن عمر خرج معاذ
عمانا خيرا فلا تفعل عملت وقال زيد بن اسلم لا تزكوا
اي لا تعتقدوا انها زاكية وهو معنى العجب وفي طلحة
الله صلى الله عليه وسلم احمد سعيد فاثنى عليه حتى اصبت

كفه فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى خرج فتقرر
ذلك فيه عمر فقال ما زال يعرف بطلحة بالوفا منذ اصيبت
اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والبا والعجب في اللغه
الا انه لم ينقل فيه انه اظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت
الشوري قال ابن عباس لابن ابنه مر طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة
واذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفا ان
لم ياخذ اجدرهم قال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما
احب الي من ان بيت قائما واصبح معجبا وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب
يجعل العجب اكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا
رؤوا ذكر الله تعالى والدار الاخرة لمواظبته على العباده
فاطال الصلوة يوما ورجل خلفه ينظر فقال له بشر فلما
انصرف عن الصلوة قال لا يعجبك ما رايت مني فان ابليس لعنه الله
رمى عبدا الله مع الملايكه مده طويله ثم صار الى ما صار اليه ان وقيل
لعايشه رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه
محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن
يجيء استعظام الصدقه واستعظام العمل هو العجب فظهر
بهذا ان العجب مذموم حذار ان بيان انه العجب
اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعوا الى الكبر لانه احد
اسبابه كما ذكرناه وينشا من العجب الكبر من الكبر الافات
الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب
يدعوا الى نسيان الذنوب وانها لها فبعض ذنوبه لا يذكرها
ولا يخطر له الطلب انه مستغن عن تفقدها فينساها وما

يتذكرها فيستصغره ولا يستعظمه ولا يجتهد في تداركه
وتلافيه بل يظن ان يغفر له واما العبادات والاعمال
فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله
عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها
ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا فان الاعمال
الظاهره اذا لم تكن خالصة نقيه عن الشوايب قل ما تنفع وانما
يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون المعجب والمعجب
يغتر بنفسه وبربه ويا من مكر الله وعذابه ويظن انه عند
الله بمكان وان له عند الله منه وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه
وعطية من عطاياه وتخرجه العجب الى ان يثني على نفسه
ويمدحها ويزكيها وان اعجب برايه وعمله وعقله مع ذلك من
الاستفاده ومن الاستشاره والسوال فيستبد برايه وبنفسه
ويستنكف من سوال من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي الخطا
الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح لخاطر غيره
فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره
بعين الاستجهال ويصر على خطايه فان كان رايه في امر دنيوي
فيخف فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقايد
فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضا بنور القران واستعان
بعلما الدين وواظب على مدارسه العلم وتابع سوال اهل البصيره
لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب
فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يقنع في السعي لظنه انه قد
فاز ووجد استغنى وهو الهلاك الصرح الذي لا شبهه فيه
بيان حقيقه العجب والادلال وحدهما

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه
من علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خايفا على
زواله مشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى
ان لا يكون خايفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة
من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب
والحالة الثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خايف عليه بل
يكون فرحا به ومطمينا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال
ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة فيكون
فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه منه لا من حيث
انه منسوب الى الله بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله
مهما انتسابها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذن العجب
هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم
فان اضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه
منه بمكان حتى توقع بعمله كرامة في الدين واستعد ان تجرى
عليه مكروهة استشعادا يزيد على استبعاده ما تجرى على
الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل وكانه يرى لنفسه على الله حقا
وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون
معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد
تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال قتادة
في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر
ان صلوة المدل لا ترفع فوق راسه ولان تعجبك وانت بعترف
بذنبك خير من ان تعجبك وانت تدل بعملك والادلال وراء
العجب فلا مدل الا وهو معجب وربّ معجب لا يدل

اذ العجب تحصل بالاستعظام ونسيان المنعم دون توقع جزاء
عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته
واستنكر ردها باطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب
من رد دعاء الفساق كذلك فهذا هو العجب والادلال وهو
من مقدمات الكبر واسبابه ﴿ بيان علاج العجب ﴾
على الجملة اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة
العجب الجهل المحض وعلاجه المعرفة الضادة لذلك الجهل وقط
فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة
والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا
اغلب فزال العجب بالجمال والفقه والنسب وملا يدخل تحت اختياره
ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل
الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محياه ومجراه
او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب
به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه تجرى فيه وعليه من جهته
غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد
والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من
حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته وقوته تم
فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضايه وساير الاسباب
التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله
عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان
يكون راجيا به لجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ انما من عليه ما لا
يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما يتوقع
الملك لغلامه وينظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة

فيه ولا لوسيله ولا لجاه ولا لخدمه فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من
فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق فاعجابه بنفسه من اين
وما سببه والم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد
فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب
فلولا انه تفطن في من الصفات المحموده الباطنه بما اقتضى الايثار
لما خلعه لما آثرني بها فيقال وتلك الصفه ايضا هي من خلعه الملك
وعطيته التي خصك بها عن غيرك من غير وسيله او هي عطيه غيره
فان كانت من عطيه الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما
لو اعطاك فرسا فلم تعجب به واعطاك غلاما فعجبت به فعجبت به
وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غير ذي فرس
له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس
والغلام معا او يعطي احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي
ان يعجب جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفه من
غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفه وهذا يتصور في حق الملوك
ولا يتصور في حق اجبار القاهر ملك الملوك المتفرد باختراع
الجميع المتفرد بايجاد الموصوف والصفه فانك ان عجبت بعبادتك
وقلت وفقني لعباده لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك
فسيقول هو فيقال فالحب والعباده كلاهما نعمتان من عنده
ابتدأ بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيله لك ولا علاقه
فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك ووجود صفاتك
وبوجود اعمالك واسبابها فاذ لا معنى لتعجب العابد
بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني
بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله

وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل
اعمالي وانا اعملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت
الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين
لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها
فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو من نمط الحق والاخر
فيه مسامحة اما من نمط الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك
جميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت
اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا هو الحق الذي
انكشف لارباب القلوب لمشاهده اوضح من ابصار العين بل خلقك
وخلق اعضاءك وخلق فيها القوه والقدره والصحه وخلق لك العقل
والعلم وخلق لك الاراده ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك
لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من
غير مشاركه من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقه على ترتيب
فلم تخلق الحركه ما لم تخلق في العضو قوه وفي القلب اراده ولم
تخلق اراده ما لم تخلق علما بالمراد ولم تخلق العلم ما لم تخلق القلب
الذي هو محل العلم فتدرجه في اخلق شيئا بعد شيء هو الذي حيل
اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفيته
الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتي تقريره في كتاب التوحيد
فانه اليق به فأرجع اليه ونحن الآن نزيل استبعادك بالجواب الثاني
الذي فيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك
فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك وبوجود عملك وارادتك
وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان
كان العمل بالقدره فالقدره مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله
وما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن

بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد
الله لا محالة ارايت لو رايت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة
ومفاتيحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف
سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفاتيح لاخذته
من قرب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن
المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك واخذتها كان
اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد واخذها
فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المونة في تحريك
اليد باخذ المال قريبة وانما الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك
مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي
والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف
الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك
البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى
ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب ممن
اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه وفي ايثاره اياك
على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها
عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك
ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف
عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك
الخير وتيسر لهم الشر فلعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة
منك ولا جرم سابقة من الفاسق العاصي بل اثرك وقدمك
واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما
اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذن لا تصرف
التعجب الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا

الى مخالفتها فكانه اذا اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا
فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل
من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما يستبين به انه لا فاعل
الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا ارزقه الله
عقلا واقدره ممن افقره الله عليه المال من غير عقل
فيقول كيف سخني قوت يومي وانا العاقل الذي اعمله فاني
على هذا نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يستهزئ
هذا ظاهر ولا يدان المغرور الله لو جمع له بين العقل والمال
جميعا لكان ذلك اظلم لشبهة في ظاهر الحال اذ يقول
الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني
عنهما فهلا جمعتهما لي او همّا رزقتني احدهما واي هذا
اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء
فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان
العاقل الفقير انما يرى الجاهل الفقير اخس حالا من نفسه وذلك
قيل له هل تود ثروة جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك
لامتنع عنه فاذن ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكبر فلم
تتعجب من ذلك والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والحلل
على الدميمة البشعة فتتعجب وتقول كيف تجرم مثل هذه
الجمال من الزينة وتخصص بها مثل ذلك القبح ولا تدري المغرورة
ان الجمال يحسب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين جمال
وبين القبح مع الغنى لاثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها اكثر
وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني ورزقت عشيرتي
الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول انها الملك لي

عطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تحسب من
هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك اصارت نعمتي عليك
وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال
عنها ومنشا جميع ذلك الجهل وبزوال ذلك بالعلم المحقق بان
العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها
استحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث
الخوف والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم
يتصور ان يعجب بعمله وعلمه اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك
قال داود عليه السلام يا رب ما اتى ليلة الا وانسان من آل
داود قائم ولا ياتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية
ما مر ساعة من ليل ونهار الا وعابد من آل داود يتعبدك اما
يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن
اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي وليلة اعجبني اياك ما فويت
حسناتك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود ما اصاب
من عجبه بعمله اذ اضاف الى آل داود مدة بحتى وكل
الى نفسه واحدث ثناء اورثه الحزن والندم وقال داود يا رب
بنو اسرائيل يسالونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم
فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فاذل يا لعمل قبل
وفيه فقال تعالى اما اني لم اخبرهم بما ساتي ابتليهم ولا اي شهر
ولا اي يوم وانا مخبرك بسنتك هذه وشهرك هذا ابتليك
عدا بامراة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما
قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قلتهم وكثرتهم
ولن نغلب اليوم عن قلة وكلوا الى انفسهم

قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت
عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ٥ وروى ابن عيينة ان ايوب
عليه السلم قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على امر الا اثرت
هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة الف صوت يا ايوب
انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على
راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه بما فوه ذلك الى الله
ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى
منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير
الناس ما منكم من احد تنجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون
ان يكونوا ترابا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون
لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فان
هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك
على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب به
بما هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان
والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف مع ذلك فيقول
ان من لا يامن ان يختم مع غير جنايته ويعفى مع عدم وسيلة لا يامن
ان تعود ويسترجع ما وهب فكم من مومن قد ارتد وشيع قد
فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب لحالة

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب بالاسباب التي بها تتكبر كما ذكرناه وقد
يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي تزين له بجهله
فمنابه العجب ثلاثة اقسام الاول ان يعجب

بدنه وجماله وهيأته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن
صورته وحسن صوته وبالجمله تفصيل خلقته فيلتفت الى
جمال نفسه ويلتفي انه نعمه من الله وهو يعرضه للزوال في كل
حال وعلاجه ماذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في
اقذار باطنه وفي اول امره وآخره وفي الوجوه المجمله والابدان
الناعمه انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور
بحيث تستقذرها الطباع ٥ الثاني القوة والبطش
كما حكي عن قوم عاد قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة
وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبق
على عسكر موسى عليه السلم فثقب الله تعالى تلك القطعة
من الجبل حتى صارت في عنقه ٥ وقد يتكل المومن ايضا على قوته
كما روي عن سليمان عليه السلم انه قال لاطوفن الليلة على
مايه امراه ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد وكذلك
قول داود عليه السلم ان ابتليتني صبرت اعجابا بالقوه ويورث
العجب بالقوه الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكه
والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه
ماذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب
بها ربما سلطها الله باد نى آفة تبسلطها عليه ٥ الثالث
العجب بالعقل والكياسه والتفطن لدقايق الامور من مصالح
الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي وترك المشوره واستجهال
الناس المخالفين له ولرايه والخروج الى قلة الاصغا الى اهل العلم اعراضا
عنهم بالاستغنا بالراي والعقل واستحقارا لهم واهانة
وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزقه من العقل

ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن حتى
يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره
وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان
اشع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما
لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى
كيف يعجبون بعقولهم ويتضحك الناس منهم فيحذر ان يكون
منهم وهو لا يدري فان قاصر العقل قط لا يعلم قدر عقله
فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدايه لا من
اصدقايه فان من يراهنه يثني عليه ويزيده عجبا وهو لا يظن
بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا ٥ الرابع
العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشميه حتى يظن
بعضهم انه يجوز ان يسلب شرف نسبه ونجاه آبايه وانه معفو
له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موالي وعبيد وعلى اخيه
ان يعلم انه مهما خالف اباه في افعالهم واخلاقهم وظن انه يلحق
بهم فقد جهل وان اقتدى بآبايه فما كان مراعيا فيهم العجب بل
الخوف والاذرا على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس
ولقد شرفوا بالطاعه والعلم والخصال المحموده لا بالنسب
فليشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في
القبايل من لم يومن بالله فكانوا عند الله شر من الكلاب والخنا
من الخنازير ولذلك قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فرد جميعكم الى اصل واحد ثم
ذكر فايدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا
ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله

اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكيس
الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا
واشدهم له استعدادا وانما انزلت هذه الاية حيث اذن بلال
يوم الفتح على الكعبه فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو
وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يوذن فقال الله تعالى ان
اكرمكم عند الله اتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
قد اذهب عنكم عبية الجاهليه اي كبرها كلكم بنو آدم
وآدم من تراب ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش
لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيامه وتاتون بالدنيا تحملونها على
رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم
فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما انزل
قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين نادا هم بطنا بعد بطن
حتى قال يا فاطمه بنت محمد يا صفيه بنت عبد المطلب عمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما
من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه
وقد كان مراده باياه التواضع اقتداء بهم في التقوى والتواضع
الا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم
يتشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت
قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمه وصفيه اني
لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال
عليه السلام اترجوا امتي شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب
وذلك يدل على انه يستخص قرابته بالشفاعه فاعلم ان كل
مسلم فهو منتظر شفاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب

ايضا جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه
فلا ياذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمه الى ما يوجب
المقت فلا يوذن في الشفاعه فيه والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعه
كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانه عند الملك لا يقدر
على الشفاعه فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا ينجي
منه الشفاعه وعنه العباره بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعه
الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعه الشافعين
واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع وجب
الخوف والاشفاق لامحاله ولو كان كل ذنب يقبل فيه الشفاعه
لما امر قريشا بالطاعه ولما نهى فاطمه عن المعصيه ولكان يا دنى
لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الاخره
لتكمل لذتها في الاخره فالانهماك في الذنوب وترك الاتقوى
اعتمادا على رجاء الشفاعه يضاهي انهماك المريض في شهواته
اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق راب او اخ او ابن
وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وجده ينفع في ازاله بعض
الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك التحيه مطلقا اعتمادا على مجرد
الطب بل للطب اثر على الجمله فلا يجوز ترك التحيه مطلقا وكذا
في الامراض التي ينفع فيها الطب وعند غلبه اعتدال المزاج فينكر ان ينفي
ان تفهم عنايه الشفعا من الانبيا والصلحا الاقارب والاجانب
فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف
يزيل وخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وهم
كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم مرخى لها في الاخره ولم

نهوا هم وحسن اعمالهم وصفا قلوبهم ثم اسمعوه من وعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايا هم باجنه خاصة وسايرا لمسلمين بالشفاعه
عامة ولم يتكلوا عليه ولم يغارق الخشوع والخوف قلوبهم
فكيف يحجب بنسبه ويتكل على الشفاعه من ليس له مثل
تحتهم وسابقتهم ذن الخامس الحجب بنسب
السلطين الظلم واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا
عادة الخلق وعسى ان يتفكروا في مخازيهم وما جرت
عليهم الظلم على عباد الله والفساد في دين الله تعالى وانهم ممقوتون
عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار وانتنانهم واقذارهم
لاستفكوا منه ولتبرأ منهم لانتساب اليهم ولانكر على من نسبه
اليهم استصغارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم في
القيامه وقد تعلق الخصمائهم الملايكه اخذون نواصيهم
لجرهم على وجوههم الى جهنم مظالم العباد تمر الى الله منهم
والحمر المسماه الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب
الى من جمع اولاد الظلمه ان عدهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله
على سلامة دينهم ويستغفروا لآبايهم ان كانوا مسلمين فاما
العجب بنسبهم فجهل يحجب السادس الحجب
بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب
والانصار والاتباع كما قال الكفار نحن اكثر اموالا واولادا
وما قال المومن يوم حنين لن نغلب اليوم عن قلة
ونحن خدمنا ذكرناه في الكبر وهو ان تنكر في معتقد
وضعفهم ان في سلطان عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا
نفعا وهم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم

يدفن في قبره
ب ولا جحيم
ب والايمان
وكذلك
ه وابيه
في اشد
في القبر
كيف تتكل
ء وموتك

اعفوه
ع رسول
ارفع
ادثم قال
فقال

تعوامهم وحسن اعمالهم وصفآ قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول
سه صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنه خاصّةً
عامةً ولم يتركا
فكيف به
فحبتهم
السلطان
عايه
فهم الله
فتزيد
لاسفه
لسبب
الغنى
حزن
واحد
الهم
على
العجب
بكثره
والاس
وحس
وغ
وضع
نفع

كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره
ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا حميم
ولا عشير فيسلمونه الى البلى والى الحيات والعقارب والديدان
ولا يغنون عنه شيئاً وهو يراجوج اوقاته اليهم وكذلك
يهربون منه يوم القيمه يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه الايات فاي خير فيمن يفارقك في اشد
احواله ويهرب منك وكيف نعجب به ولا ينفعك في القبر
والقيامه وعلى الهباط الاعمالك وفضل الله تعالى وكيف تتكاثر
على من لا ينفعك وتنسى نعم من تملك ضرك ونفعك وموتك
وحياتك ○ السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخباراً
عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفراً وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لرجل غنياً جلس بجنبه فقيراً وانقبض منه وجمع
ثيابه فقال عليه السلم اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك
العجب بالغنى ○ وعلاجه ان يتفكر في آفات المال
وكثره حقوقه وتعظيم غوايله وينظر الى فضيله الفقر وسبقهم
الى الجنه في القيامه والى ان المال عاد وراع لا اصل له والى ان
البهيمه من يزيد عليه في المال والى قوله صلى الله عليه وسلم بينما
رجل يتبختر في حلله قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض
فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامه اشار به الى عقوبه
اعجابه بماله ونفسه ○ وقال ابو ذر كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع
راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب بيض قال
ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه خلقان فقال

باب ذم هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه
في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يتبين
حقارة الاغنياء وشرف الفقر عند الله فكيف يتصور من المؤمن
ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن الخوف من تضييعه في
القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا
يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والنهار فكيف يعجب بما له ٥
الثالث من العجب بالرأي الخطأ قال الله تعالى افمن
زين له سوء عمله فراه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يتغلب على
آخر هذه الامة ٥ وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت
فرقا فكل حزب بما لديهم فرحون وجميع
اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب
بالبدعة هو استحسان ما تشوق اليه الهوى والشبهة مع
ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره
لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا
يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فيعسر مداواته
جدا الا ان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله
عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العارف
وتهمه فقد سخط الله عليه بليته تهلكه وهو يظنها نعمة
فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب
سعادته واعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرأيه
ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي
صحيح جامع لشروط الادلة ولن تعرف انسان ادلة الشرع

والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل
ثاقب وجد ونشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة
ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك
فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم
يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا
يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا
شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ثم رسوله صادق
فيما اخبر ويتبع بسنة السلف وهو من جملة ما جاء به الكتاب
والسنة من غير بحث وتفتيش وسؤال عن تفصيل ما يقول
آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي وادآء
الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض في
المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك مرجيا لا يشعر
هذا حق كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم واما
الذي عزم على التجرد للعلم فاول ما يهم له معرفة الدليل
وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين به
والمعرفة في اكثر العصر المطالب شديد لا يقدر عليه الا اقوياء
الموفقون بنور الله وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى
العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال ٥

تم كتاب ذم الكبر والعجب

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم كثيرا

كتاب ذم الغرور

وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين ○

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يدبر مقاليد الامور وبقدره مفاتيح الخيرات والشرور ومخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلائق من الدجور وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور وصلوة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور ○ اما بعد فمفتاح السعادة اليقظة والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليها سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والاكياس هم الذين اراد الله ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقة حرجة كانما تصعد في السماء والغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهدايته نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ○ واذا عرفت ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذر المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من يعباد من عرف مداخل الافات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من الحمقاء والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الامور بجملة ظواهرها القبيحة سرايرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر من ان يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء وفوق المغترين كثرة ولكن نجمعهم اربعة اصناف ○ الصنف الاول من العلماء الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من ارباب الاموال والمغترون كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من يرى المنكر معروفا كالذي يتخذ المسكر ويزعم فيها من الذين يستحلون الخمر بالتاويل الفاسد ومنهم من لم يحرم بين ما يسعى فيه لنفسه بين ما يسعى فيه لله تعالى بل اعتقد الذي غرضه الفسوق والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بما هو دونه ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنفل ومنهم من يشتغل بالنفل كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف

الى غير ذلك من مداخل الشيطان بتفصيل الفرق وضرب الامثله
فلنبدأ اولا بذكر غرور العلماء ثم نعقبه بعد بيان ذم الغرور وبيان
حقيقته وحده ﴿ بيان ذم الغرور
وحقيقته وامثلته ﴾ اعلم ان قوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى وغرتكم امانيكم
حتى جاء امر الله وغرتكم بالله الغرور الآية كاف في ذم الغرور
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حمدا لقوم الذين يركبون متن الخطر يخبطون شهوات الحمقى واجتهادهم ولمقدار ذره من
صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل
ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان
الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل ان يعتقد الشيء
على خلاف ما هو به والغرور هو جهل لا لخلل في الدليل
الغرور بل يستند الى الغرور معرور فيه محسوسا ومغرورا به هو
الذي يغره فهو مثال المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان
سببه الموجب للجهل شهوة ومخيلة فاسدة يعني انها ذليل ولا
يكون دليلا سمي الجهل حاسبة غرورا والغرور هو سكون
النفس الى ما يوافق الهوى وميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة
من الشيطان فمن اعتقد شيئا على خلاف ما هو عليه لعاجل او في مؤجل
عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس مغرورون بانفسهم
في امور وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذن مغرورون وان اختلفت
اصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان بعض

اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار
وغرور العصاة والفساق فنورد هما امثلة لحقيقة الغرور
المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرته
الحيوة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم
الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا لنا خير من الاخرة والدنيا نقد
والاخرة نسيئة فاذن هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين
خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك
اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث
قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هذه
الاشارة بقوله تعالى الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا
الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق المجرد
الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما
عند الله باق وفي قوله وما عند الله خير وقوله والاخرة
خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقوله
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه
بذلك طوائف من الخلق فقلدوه وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه
بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا
فحان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو
مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والله في
ان حضور المشتهيات خير من حضور الملاذ مع انه يدري
وجه كونه خيرا ان وامن المعرفة بالبيان والبرهان هو
ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان

ن كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل
دليل فهو نوع قياس ينفع النفس ويورث السكون اليه
وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلما
والقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان احدهما ان الدنيا
نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر قوله النقد
خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان
كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير
وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا الكافر المغرور
يبذل في ثمن درهم ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد
خير من النسيئة فلا اتركه واذا جذره الطبيب الفواكه
والذ عنده الاطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من الم المرض في
المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار على هذا
يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة
والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد
في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة
فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير
من جزء من الف جزء من الاخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ
الف الف الف مثل ما اخذ مالا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع
فان لذات الدنيا منكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات
الاخرة صافية غير منكدرة فاذن قد غلط في قوله النقد
خير من النسيئة وهذا غرور ومعناه قبول لفظ عام مشهور
الاطلاق واريد به خاص فعقل المغرور عن خصوص معناه
فلهذا من قال النقد خير من النسيئة اراد به خير من نسيئة

هي مثله وان لم يرجح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس
الاخر وهو ان اليقين خير من الشك والاخرة شك وهذا
القياس اكثر فسادا من الاول لان كلي اصليه باطل اذ اليقين
خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين
وفي راحته على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وادراكه
رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المضي على يقين
وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الجزم دأب العقلا
بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول
ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي
قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء الكريه
وهو مرجو الشفاء على شك ومن مراده الدواء على يقين
ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه
من المرض والموت فكذلك من شك في الاخرة فواجب عليه
بحكم الجزم ان يقول الصبر اياما قلائل وهو منتهى العمر قريب
بالاضافة الى ما يفوتني من امر الاخرة فان كان ما قيل فقد كذبت
فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي وقد كنت في العدم الاول
الى الان لا انعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما
قيل صدقا فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك
قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا
فقد تخلصنا وتخلصنا وان كان ما قلنا حقا فقد تخلصنا
وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم
الملحد على قدر عقله وبين له اندراس وان لم يكن متيقنا فهو مغرور
واما الاصل الثاني في جملته وهو ان الاخرة شك فهو

ايضا خطا بل ذلك يقين عند المومنين ويقينه مدركان احدهما
الايمان والتصديق تقليدا للانبيا والعلما وذلك ايضا يزيل الغرور
وهو مدرك يقين العوام واكثر الخلق اعني ومثالهم مثال مريض
لا يعرف دوا علته وقد اتفق الاطبا واهل الصناعه من عند
آخرهم على ان دوا ء البنت الفلانى فانه تطمين نفس المريض
الى تصديقهم ويحط البهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبيه بل
يثق بقولهم ويعمل به ولو بقى سوادى او محتوه يكذبهم فى ذلك وهو
يعلم بالتواتر وقراين الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر
منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه
بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يفتر دعمله بسببه ولو
اعتمد قوله وترك قول الاطبا كان معتوها مغرورا فكذلك
من نظر الى المقربين بالاخره والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى
هى الدوا النافع فى الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق
الله واعلاهم رتبة فى البصيره والمعرفه والعقل فهم الانبيا والاوليا
والحكما والعلما واتباعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم
شاذ من المبطلين غلبت عليهم الشهوه ومالت نفوسهم الى التمتع
وعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من
اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبيا فكما ان قول الصبى
وقول السوادى لا يزيل طمانينة القلب عن ما اتفق عليه الاطبا
فكذلك قول هذا الغبى الذى استرقته الشهوات لا يشكك
فى صحة اقوال الانبيا والعلما وهذا القدر من الايمان كاف
لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لامحاله والغرور
يزول به و[illegible]

المدرك الثانى لمعرفه الاخره هو

الوحى والالهام الوحى للانبيا والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفه
النبى لامر الاخره ولامور الدين تقليد لجبريل بالسماع منه كما ان
معرفتك تقليد للنبى حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما
تختلف المقلد فقط فيهات فان التقليد ليس معرفه بل هو
اعتقاد صحيح والانبيا عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف
لهم حقيقة الاشيا كما هى عليه فشاهدوها ببصيره الباطنه
كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن
مشاهده لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقه
الروح وانه من امر الله تعالى وليس المراد بكونه من امر
الله الامر الذى يقابل النهى لان ذلك الامر كلام الروح وليس
الروح بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد
به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام فى جميع المخلوقات
بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق والله الخلق والامر
فالاجساد ذوات الكميه والمقادير وعالم الخلق اذ
الخلق عباره عن التقدير فى وضع اللسان وكل موجود
منزه عن الكميه والمقدار وانه من عالم الامر وشرح
ذلك شرح للروح ولا يحتمله [illegible]
اكثر الخلق لسماعه [illegible]
افشايه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه
واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه
عرف انه امر ربانى بطبعه وفطرته وانه من العالم الحسانى
غريب وان هبوطه اليه لم يكن لمقتضى طبعه فى ذاته
بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب

ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبّر عنه بالمعصية وهي التي حطّته
عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى
وانه امر ربّاني وجنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي
الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من
ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم
نفسه اذ قتلها ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم
ومظنه استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا
خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار يهتز
لاستشاق روائحها العارفون وليشمأز من سماع الفاظها
القاصرون فانها تضرّهم كما تضرّ رياح الورد بالجعل وتبهر
اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفاش فليش
وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى
معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليّا وعارفا وهي مبادي
مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء اول مقامات
الانبياء ومرجع الى الحضرة والمقصود ان غرور
شيء يقع اما بيقين
ومشاهده من جهة
الباطن والمومنون بالسنتهم وعقايدهم اذا ضيّعوا
امر الله تعالى وشحنوا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات
والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم
آثروا الحيوة الدنيا على الاخرة نعم امنهم اخفّ لان اصل
الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو

بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اغتروا بان الاخرة خير
من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرّد الايمان لا يفي
للفوز قال تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا
ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم
قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط
بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهولاء ايضا
مغرورون اعني المطمانين الى الدنيا الفرحين بها المغترين
بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا
دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور والذي
من الكفار والمومنين جميعا ولنذكر للغرور اسبابا مثالين
غرور الكافرين والعاصين واما غرور الكفار فانه
فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انا ان كان
لله من معاد فنحن احق به منه ولنا ثم اوفر حظا فيه والعا
جلا اخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين
اذ قال وما اظن الساعة قايمة ولئن رددت الى ربي لاجدن
خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقلت ان
الكافر بنى قصرا بالف دينار واستزر بستانا بالف دينار
وخدما بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفي كل
كل يعطيه المومن ويقول اشريت قصرا الخرب ويفنى
الا اشريت قصرا في الجنة واشريت بستانا الخرب ويفنى
الا اشريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يموتون

ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد
عليه الكافر ويقول ما هناك شيء مما قيل من ذلك فهو
اكاذيب وان كان ليكونن لي في الاخره خير من هذا
وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وايل اذ يقول
لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروي عن خباب بن الارت
انه قال كان لي على العاص بن وايل دين فجئت اقتضاه
فلم يقض فقلت اني اخذه في الاخره فقال لي اذا صرت
الاخره فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل الله
تعالى افرايت الذي كفر بايتنا وقال لاوتين مالا وولدا
وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة من بعد ضراء مسسته
ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قايمة ولئن رجعت الى ربي
الاية وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس ما قيسه
ابليس وذلك لانهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا
فيقيسون عليه نعمة الاخره وينظرون مرة الى تاخير
العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخره كما قال
تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير ومرة ينظرون الى
المومنين وهم فقراء اشعث غبر فيزرون بهم
ويستحقرونهم فيقولون اهولاء من الله عليهم من بيننا
ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس
الذي نظمه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا
بتنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن

في المستقبل ايضا كما قال الشاعر

لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي

وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب
اذ يقول لولا انكرتم عند الله ومحبوب لما احسن الي
والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان
انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه
كرم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصاير
يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران
يبغض احدهما ويحب الاخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب
ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من
الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية
التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب
ولا يدخل المكتب وياكل كل ما يشتهي فيظن هذا الصبي
المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من
شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم
يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها
فانها مهلكات ومبعدات من الله وان الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو
يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه
هكذا ورد في الخبر وكان ارباب البصاير اذا اقبلت عليهم
الدنيا حزنوا وقالوا اذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك امارة
المقت والاهمال واذا اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا شعار
الصالحين والمحبين واذا اقبلت عليه الدنيا ظن
انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انه هوان كما

...ر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه
...نعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه
...فيقول ربي اهانني كلا بيّن ان ذلك غرور قال الحسن
...ذ بهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي ولا
...هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او
...فقيرا او المهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا
...الغرور علاجه معرفة دلايل الكرامة والهوان اما
...البصيرة واما بالتقليد اما البصيرة فبان يعرف وجه
...كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون
...التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام في منازل
...العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق
...بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق
...فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال
...تعالى الحسبون ان ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في
...الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث
...لا يعلمون وقال فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا
...بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله
...سنستدرجهم انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد
...غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال
...تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما نؤخرهم
...ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله
...وسنة رسوله فمن امن به تخلص من هذا الغرور فان من لم يشاهد
...هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فاز من عرفه لا يامن مكره

...ولا يغتر به بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى
...ملوك الارض كيف حسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد
...حذر الله تعالى مكره واستدراجه فقال فلا يامن مكر الله
...الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكرنا مكرا
...وقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى
...انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم
...رويدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد
...اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يجوز ان
...يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه
...فبان يجب ذلك في حق الله مع تحذيره استدراجه اولى فاذن
...من امن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل
...بنعم الدنيا على انه كريم عند النعم واحتمل ان يكون ذلك دليل
...الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة
...الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على
...الكرامة وهذا هو حد الغرور الثالث
...هو غرور العصاة من المؤمنين بالله بقولهم انه كريم وانا
...نرجو اعفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاهبة لذلك بتسميته
...تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم ان الرجاء محمود في الدين وان سعة
...عميم وابن مداعي العباد في بحار رحمته وانا موحدون
...ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم
...التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كما غتر اليهود
...بنسبهم ومخالفتهم سيرة اسلافهم في الخوف والتقوى والورع

...ثم اصر على الله من آبائهم اذا رأوهم مع غاية الورع والتقوى
...انوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون وذلك نهاية
...رة بالله فقياس الشيطان المعنوية ان من احب انسانا احب
...ولده وان الله قد اوجب اباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة
...لتحسين المعرور ان نوحا عليه السلم اراد ان يستصحب ولده في
...السفينة وقال انه ابني من اهلي فقال تعالى انه ليس من اهلك انه
...عمل غير صالح وان ابراهيم استغفر لابيه فلم يغفره وان نبينا
...صلى الله عليه وسلم استاذن ربه ان يزور قبر امه ويستغفر لها
...فاذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فحسن بكى على
...قبر امه لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله تعالى
...وهذا ان الله يحب المطيع ويبغض العاصي وكما انه لا يبغض
...الولد لاجل ابيه المطيع يبغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي
...لاجل ابيه المطيع ولو كان احب يستر مزاره بل الولد لا شك
...انه يستر بعض ايضا بالحق ان لا تزوروه وزوروا غيره
...ومن ظن انه ينجو بسوء فعله فيه ممن ظن انه يشبع باكل ابيه
...ويروى بشرب يده ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى رتبة عبده
...بمشي ابيه فالتقوى فرض عين ولا تجزئ ولد فيه
...عن والده شيأ وعند جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه
...لاعلى سببا الشفاعة لمن لم يستوجب غضب الله عليه فاذن
...الشفاعة كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت
...فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو
...معتزته ورحمته فما هذا الكلام صحيح مقبول في القلوب
...واعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول

الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب
ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وهذا هو التمني على الله تعالى غير ان الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى
خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة
الله يعني ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الآخرة
اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال
وانما توفون اجوركم يوم القيامة فاعلم ان من استوجر على
اصلاح اواني وشرط له اجرة عليها وكان الشارط خبيثا يفي
بالوعد منهما وعدا ولا يخلف بل يزيد في اجرة الاجير ويحسن
الاواني ويصلحها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان
المستاجر كريم افيراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا
او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء وبين الغرور
قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله وهم يضيعون العمل
هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيأ
طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وقال مسلم بن يسار اقعد
يتحدث البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال لرجل انا
لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيأ طلبه
ومن خاف شيأ هرب منه وكما ان الذي يرجو الى الدنيا وهو
وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو
مغتر فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن وامن ولم
يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وجاهل

اذا نكح ووطئ وانزل بقي متردداً انه الولد فخاف ان يرجوا فضل الله في
خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيّس
فهذه اذا امن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي متردداً بين
الخوف والرجاء فخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له
بالشقاوة ويرجوا من فضل الله تعالى ان يشبّته بالقول الثابت ويحفظ
دينه من مواقع تكدرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس
قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي
فهو كيّس ومن عداهؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلاً ولقد ليّن لبعضهم بعد
حين وعند ذلك يقولون ما اخبر الله تعالى عنهم ربنا ابصرنا
وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا عند الله كما لا يولد ولد الا
بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحرث وبذر فكذلك
لا تحصل الاخرة الا بحرث وآخر الاعمال صالحاً فارجعنا نعمل
صالحاً فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما
سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها
الم يأتكم نذير لم يسمعكم سنة الله في عباده وانه يوفي كل
نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غرّكم
بالله بعد ان سمعتم وعقلتم فقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في
اصحاب السعير فان قلت فاين منزلة الرجاء وموضعه
المحمود واعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي
المنهمك اذا خطر له التوبة فقال الشيطان دع التوبة الآن فانك تتوب
فيقنطه من رحمة الله فيحب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء
ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة

تكفّر الذنوب قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم
وانيبوا الى ربكم اسلموا له بالانابة وقال وانّي لغفار لمن تاب وآمن
وعمل صالحاً فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راجٍ وان توقع
المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كمن ارتكب ذنباً وهو يعلم انه
وهو آيسه فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان
لا تدرك الجمعة فاقعد على موضعك فكذّب الشيطان وسرّع
وهو يرجو ان يدرك الجمعة فهو راجٍ وان استمر على التجاوز واخذ
يرجو انه يؤخر الامام الصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل عذر
او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور الثاني
ان يقنّط نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجّي نفسه
نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى يبعث من الرجاء
نشاط العباده فيقبل على الفضايل ويتذكر قوله تعالى قد افلح
المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فيرجو الفوز ويتمنى
القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع القنوط المانع من
النشاط والتسبب فكل توقع يبعث على توبة وعلى تشمر
العباده فهو رجاء وكل توقع اوجب فتوراً في العباده وركوناً
الى البطاله فهو غرّة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويسعى
بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولهذا نفسك ودعها تهلك
ولك ربّ كريم غفور رحيم فبقية يذلك عن التوبة والعباده
فهي الغرّة وعند هذا واجب على العبد ان يسعى الى حوف
فيخوّف نفسه بغضب الله وبعظيم عقابه وشوم

غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار
في النار ابد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سخط العذاب والمحن
والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا
وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوف في
عقابه فكيف لا اخافه واغتر به فالخوف والرجاء قايدان
وسايقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمني وغرور
ورجاء كذلك والخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا
وسبب اعراضهم عن الله واهمالهم السعي للاخرة فذلك غرور
وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على
آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان
الناس في الاعصار الاول يحيطون على العبادات ويبوتون ما
انوا وقلوبهم وجلة تخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار
في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات
ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الخلق امنين
من مكر الله ورين معه يزيد خايفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم
في الدنيا واعراضهم عن الله زاعمين انا واثقون بكرم الله وفضله
وراجون لعفوه ومغفرته وكانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم
الله وفضله ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان
كان هذا الامر يدرك بالتمني وينال بالهوينا فعلى ما ذا كان
بكاؤهم وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور
في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه
فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان تخلق فيه القرآن
في قلوب الرجال كما يخلق الثياب على الابدان يكون امرهم
كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال
يغفر لي فلخبرانهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم
بتخويفات القرآن ووعيده وبمثله اخبر عن النصارى اذ قال تعالى
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا
الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب الذي هم
علما وياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا
او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد
والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا تكاد تجد فيه منفكا
الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس
يهذونه هذا الخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على
رفعها وخفضها ونصبها وكانهم يقرون شعرا من اشعار
العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في
العالم غرور يزيد على هذا فهذا مثله الغرور وبعد
وبيان الفرق بين الرجاء والغرور يقرب منه غرور طوائف
لهم طاعات ومعاصي الان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون
المغفرة ويظنون انهم ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة
السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يصدق
بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما اخذ من اموال
المسلمين بالشبهات امعاقد ولعله يتصدق به هو من مال
المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان كل الف درهم حرام يقاومه
التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا جهل وضع عشرة
دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الف وان دانق
يثقل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك باطل محض

نعم ومنهم من يظن ان طاعته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا
يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر
الله باسانه او يسبح الله مائة مرة في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين
ويمزق اعراضهم وينكلم بما لا يرضاه الله طول نهاره من
غير حذر وعدد ويكفي نظره الى عدد تسبيحه ان استغفر مائة
مرة وتزيل عن هذا بانه طول نهاره الذي لو هتنه لكان مثل
تسبيحه مائة مرة او الف مرة وقد حتمه الكرام الكاتبون ووعده
الله العقاب على غالب حاله وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد فهو الذي ينبغي ان يقدر فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يليق
ان يورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين
بذكر ما لا يعبر ونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك مخصوص
بالغرور والحمق لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة
التسبيح لم يكتبوه من هذا الذي زاد على تسبيحه ولكان عند
ذلك يتعب لسانه حتى عمل اجله من مهماته ما تنفق به من
فتوته فان التوانى في تسبيحه وتوازيه بتسبيحاته حتى لا يفضل
عليه احد تسبيحة فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويجتهد خوفا
من يوم يشيب فيه الولدان ولا يجتهد خوفا من فوت
الفردوس الاعلى وجحيم يغلي بهذه الامصبة عظيمة لم تفكر
في امرها قط ذرها الى مرآة شحتها فيه خنازير الشهوات
من صدقه خنازير الحمق المعجون فما هذا الا من يصدق
بما خاب به القرآن وانابوا الى الله تعالى ان يكون من اهل الكفران
فسبحان من صدنا عن التنبه والتبين مع هذا البيان وما اجدر
من يقدر على تسليط منافذ الغفلة والغرور على القلوب

ان تخشى وتتقي ولا يغتر به اتكالا على الباطل الذي وتعاليل الشيطان
والهوى ٥ بيان اصناف المغترين واقساءهم

كل صنف وهم اربعة اصناف الصنف الاول اهل
العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية
والعقلية وتعمقوا فيها واستقلوا بها واهملوا فقه الجوارح
وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات وتفقدوا بعلمهم قلوبهم
انهم عند الله تعالى وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب
الله مثلهم بل يقبل شفاعتهم في الخلق شفاعتهم وانه لا يضرهم بذنوبهم
وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا
بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة
وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعلم علم المعرفة وايضا
العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة
والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد لا
للعمل ولو لا اضافته الى العمل لم يكن لها من العلوم قيمة وكل علم يراد
للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال عدم تعمقه في علمه لا
يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرف الاخذ في
الاطباء فسعى طالب الطب بعد ان عجز وجد حتى عثر
على طبيب جاز فعلمه الدواء وذلك لاخذه وعجنه
ومقاديره ومعادلها التي منها تحلل وعلمه كيفية
كل واحد منها وكيف تخلطه وتركبه فعلم ذلك منه وحفظه
منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يحسن
وقراءها ويعلمها لمرضى ولم يشتغل البتة بالعمل فانه لو
ان ذلك الطبيب عند من مرضه شيء مما يهلك لو كتب بعد ان

نسخه وعلمه الف مريض حتى شفى جميعهم وكتبه كل ليله الف مره لم يسم
بعد ذلك من مرضه شيئا الى ان يزن الذهب ويشتري الدوا وخلطه
كما يعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد
تقرير الاجتماع وجميع شروطه وذا فعلم جميع ذلك فهو على
خطر من شفايه فكيف اذا لم يشربه اصلا فيهرض ان ذلك يكفيه
ويشفيه فقد ظهر خطؤه وهكذا شقيه الذي احكم علم الطاعات
ولم يحكم علم المعاصي ولم يحكم علم الاخلاق
المذمومه وما يكتسب عنها واحكم علم الاخلاق المحموده ولم يتفقد
ما فيه من خير وشر والله تعالى اعلم فاي علم يكفي ولم يتقدم
فلح من علم كيف يتفقد من قلبه وكتب عمله وعيوب النفس وعند
هذا يقول له الشيطان لا يغرك هذا بل العلم
انما يراد لا يزيل المرض وانما طلبك لتعرف مرضه ودوائه والعلم
بالدواء ليس بدواء وانما الدواء هو العمل
فاطلب ان يعمل العلم وان كان كيسا فيقول للشيطان انذكرني
فاعمل بعلمي وشغلني بما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه
من قوله تعالى فمثله كمثل الكلب وقوله مثل الذين حملوا
التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وفي الخبر عذاب
يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا
وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم من باب علامة علماء الاخرة
اكثر من ان نحصي الا ان هذا مما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما
ورد فيه وما العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه
وذلك عين الغرور فاذا ان نظر بالبصيرة فمثله ما ذكرناه
وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم
العلم السوء وان حالهم اشد عند الله من حال الجهال فبعد
ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية الغرور
واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته واسمائه
وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده وغروره
اشد ومثاله من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف
اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وصفاته وعرفه وعادته
ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يعتني عليه
وما يرضى به او يعرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس
لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وتنظيف
وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص
به فما تحبب الى جميع ما يكرهه الملك عاطل عن جميع ما يحبه متوسل
اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته
وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة عبيده فهذا مغرور
جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة
ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه

يعمل سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما
علمت وكيف قضيت شكر الله ○ وقال صلى الله عليه وسلم اشد
الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا
وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم من باب علامة علماء الاخرة
اكثر من ان نحصي الا ان هذا مما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما
ورد فيه وما العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه
وذلك عين الغرور فاذا ان نظر بالبصيرة فمثله ما ذكرناه
وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم
العلم السوء وان حالهم اشد عند الله من حال الجهال فبعد
ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية الغرور
واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته واسمائه
وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده وغروره
اشد ومثاله من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف
اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وصفاته وعرفه وعادته
ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يعتني عليه
وما يرضى به او يعرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس
لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وتنظيف
وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص
به فما تحبب الى جميع ما يكرهه الملك عاطل عن جميع ما يحبه متوسل
اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته
وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة عبيده فهذا مغرور
جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة
ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه

والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه
لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله
حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل
ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله الى داود عليه السلم اخفني كما
تخاف السباع الضواري يعني من يعرف من الاسد قوته وشدته
واسمه فلا تخافه وقد تقدم ما عرف الاسد فمن عرف الله عرف من
صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدره من
لو اهلك مثله الآفا مؤلفة وآيد عليه العذاب ابد الآباد لم
يتزلزل ذلك فيه اثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اشفاق جزع
ولهذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور
رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما
وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسئلة فاجاب
فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط
الفقيه العالم لله لياله اصابه بنهاره الزاهد في الدنيا وقال
مورق الفقيه يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فان قبلت
منه حمد الله وان ردت حمد الله فاذن الفقيه من فقه عن الله
امره ونهيه وعلم من صفاته ما يحبه ومن اكرمه وهو العالم
ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة
فهو من المغرورين ونعوذ بالله من الجهل والعلم
والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم
يفقدوا قلوبهم بمحو عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر
والحسد وحب الرياء وطلب الرياسة واعتقاد ارادة السوء للاقران
والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف

بعضهم ان ذلك مذموم فهو يجب عليها غير محترز منها ولا يلتفت
الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الرياء شرك والى قوله عليه السلم لا يدخل
الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله تحسد الحسنات كما تاكل
النار الحطب والى قوله عليه السلم حب
الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك
من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات من الاخلاق
المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم وتشوفه
صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم
ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتفهموا الاعمال وما تعبدوا
وتفكروا هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب
وهؤلاء كثير الحسن ظاهرها حسن وباطنها
موتى ظاهرها من وباطنها جيفة
باطنه وضع
معلم وكرجل قصد الملك
باب داره وترك المزابل
عبور بل اقرب مثال اليه رجل
رجه حبيس يفسده فامر بتنقيه الزرع
من حبله فاخذ يجز رؤسه واطرافه وهو لا يشعر
وتنبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق المذمومة
لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة الا مع
الكثيرة بل هو كمريض صحيح الجوارح
الدواء فالطب ليزيل ما على ظاهره والدواء ينقلع مادته من
باطنه فقنع بالطب وترك الدواء

فلا يزال يظن الظاهر والحرب دائم به يتحرز من المادة التي في
الباطن ٥ وفرقة اخرى عرفوا هذه الاخلاق الباطنة وعلموا
انها مذمومة نهى عنها الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم
متفكرون فيها وانهم ارفع عند الله من ان يتلبسهم بذلك وانما يتلبى به العوام
دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هو فاعظم عند الله من ان
يتلبس به ثم اذا ظهر عليه ذيل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف
قال اما هذا كبر وانما هو اتلاف عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة
دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين وانى لو لبست الدون
من الثياب وجلست في الدون من المجلس شمت بي اعداء الدين وفرحوا
بذلك وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره
منه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويتسخر به وينسى ان النبي
صلى الله عليه وسلم انما ذكر نصر الدين وبما ذكر ارغام الكافرين وينسى
ما ذكره من التواضع والتذلل والقناعة بالفقر
والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في تذاذه زيه عند
قدومه الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب
العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب
الرقيقة من القصب والديباج والابريسم المحرم والخيول
والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك
مهما اطلق اللسان بالجفاء في مقال او فعل ورد عليه شيئا من
كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا
غضب للحق وردّ على المبطل عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه
الحسد حتى يفتش غاية التفتيش فلعله لو طعن عليه من اهل العلم او منع
من رياسة او وجه فيها كان غضبه وعداوته

مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في
الآخر ومنع بل ربما يفرح فيه فيكون غضبه لنفسه وحسده لا
لمن غضب باطنه وهكذا ابدا في اعماله وبعلومه فلهذا خطر له
خاطر الرياء قال ابو حامد انما عرفني من اظهار العلم والعمل قلة
الخلق لي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتأمل
المغرور انه ليس يفرح بافتداء الناس بغيره مما يفرح بافتدائهم
به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان
كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم وانه لا يفرق بين ان
تحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب اخر وربما يذكر بعد ذلك
فلا تحليد شيخنا ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا
بي كان الاجر لي والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بصلاح
الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله يطلع من ضميره على انه لو اجري
على يد غيره بان ثوابه في خمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في اظهاره
وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتمل ذلك هذا
السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به تظهر
رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على
السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان
التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان يا بلهاء
انما ذلك عند الطمع في اموالهم فاما انت فغرضك ان ينتفع
المسلمون وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله
يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند السلطان
فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين
ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يفتح حانوتا عند السلطان

كان انفع له في دينه لآفة من الآفات كان تلحقه في هذا
سلامته عنها في تلك الفيفاء ومع هذا لا تزال النفرة
من قوله لعلم واحدا منهم اذا تحرك فيه مبادي الحسد لم
تدر ان اظهاره فيتحلل بالطعن في دينه وفي ولاته ليجعل
غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما
كان يعيبه بين يديه ربما فرح وان اثنى عليه ربما ساءه وكره
بما فطب وجهه اذا ذكر عيوبه يظهر انه كاره لغيبة
المسلمين وسخط عليه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك
هذا ومثاله من خفايا العيوب لا يفطن له الا الاكياس
من قدر الا اقويا ولا مطمع فيه امثالنا من الضعفاء الا
اقا المريد اذا عرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك
من على اهلاكه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره
فيعيو من ستره بحسناته وساءته سيئاته فهو
جو مره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتلئ
اسو له الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من
من المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال
تعلموا العلوم المهمة ولكن قصروا في
سر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم به
وا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم
لعلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم
اقتصروا على علم الفتاوى من المنظومات والخصوم
فيما املات الدنيا وبه اجاريه بين الخلق لمصالح
سموا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذه
مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا

الجوارح ولم يرسموا للسان حفظه عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل
في المشي الى المظالم وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن
الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء غروروا من
وجهين احدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما
العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه واما مثالهم مثال المريض اذا
تعلم لنسخة الدواء واشتغل بتكراره وتفهيمه لا بل مثالهم من به
علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج الى
تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتعلم
ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا تحيض ولا يستحاض ولا من
يقول له ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة او تسأل عن ذلك وذلك
غاية الغرور فكذلك اشتغال المتفقه المستكثر قد تستند علته الى
الدنيا وابتاع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات
الباطنة وربما تختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو
عليه غضبان فيترك ذلك كله ويشتغل بعلم السلم وبحار
والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات
وبكتاب الحيض والاستحاض الى شيء من ذلك فقد
واذا احتاج غيره كان المفتي كثرة فيشتغل بتعلم
لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر
اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري
ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية
هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه
الله فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به مقصر في فرض عين
من جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل وامر غروره من
حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى ومن علم الدين ورك

كتاب الله وسنة رسوله وربما حض على تحريمهن وقال انهم تفلسفوا
وتمنطقوا باسفار لا يفقهون وترك الناس علم المذهب الاخلاق
وترك التفقه عن نيته وحلاوته وعظمته وهو العلم الذي
يورث الخوف والهيبة والخشوع والحمل على التقوى وغيرها مما
يتعلق بالعبد متكفلا على الادوار من حيث وظائفه في دينه
ودنياه كيف يعمل الفتاوى ويحفظ الحلال والحرام فقد ترك العلوم
التي هي اهم وهو غافل محروم وسبب غروره ما سمعه في الشرع
من عظيم الفقه وله يدر ان ذلك الفقه هو منقذه عن الله ومعرفة
طريقه المخوف والمرجو ليستدعي الجذب الحق ويلازمه
للقوي المتعال فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة يتفقهوا
في الدين وينذروا اقومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل به
الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال
وشروط المعاملات وحفظ الابدان بالامن وبدفع القتال
والجراحات والمال وطريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم
الذي هو معرفة سلوك الطريق وقمع عقبات القلب التي هي
صفات المذمومة فهي الحجب بين العبد وبين الله وانما
ملاقاة الله بالصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الابصار
على علم الفقه مثال من ينظر من سلوك طريق الحج على علم خوفه
وشوقه وخفة ولا شك في انه لو لم يكن ليعمل الحج ولكن المقصد
عنه ليس الحج حتى ولا السفر وقد ذكرنا شرح ذلك
في كتاب العلم ومن هؤلاء من انتشر من علم الفقه على الخلافيات
ولم يهتم لتعلم طريق مجاهدته والالزام والجام الخصوم ودفع
الخلق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول النهار والليل في التفتيش
عن تخليطات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران

والتلقف لانواع التشبيبات الموذيه وهولاء هم سباع الانس وهم
الايذاء وهم السفهاء ولا يقصدون العلم الا مشوبا مايلزمهم
لمباهاة الاقران فهذا علم لا يحتاج اليه في المباهاة كعلم
القلب وعلم سلوك الطرق الى الله تعالى لمحو الصفات المذمومة
وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام
الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري
بين المتصارعين في الجدل وهولاء قد جمعوا ما جمعه الذين ذمهم
في علم الفتاوى لكن زادوا اذ استغلوا بما ليس مفروضا فروض الكفايات
ايضا بل جميع دقايق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف وما
ادلة الاحكام فينتظم عليها علم المذهب وهو شاب من كتاب الله وسنة
رسوله وفهم معانيهما وما حيل يجذب من تكسر والقلب
وفساد الوضع والترتيب والتعدي انما ابدع لاظهار الغلبة
والالزام واقامة سوق الجدل به فغر وهولاء اشد كبرا
واوفح من غرور من قبلهم من فرقة اخرى استغلوا
بعلم الكلام والمجادلة في الاهوآء والرد على المخالفين وتتبع متناقضاتهم
واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بعلم
الطرق في مناظره اولئك والخامهم وافترقوا في ذلك وراء كبيرة
واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان احد
بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقايدهم وضنوا ان لا احد يعرف
بالله ويصفه بنزهه وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ومشربهم
علم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها انهم فرقتان ضالة
ومحقة الضالة هي التي تدعوا الى غير السنة والمحقة هي التي
تدعوا الى السنة والغرور سار الجميعهم اما الضالة فلغفلتها
عن ضلالتها واما المحقة فهم فوق كثير ويكفر بعضهم

بعضها وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط
الادله ومنهاجها فرای احدهم الشبهه دليلا والدليل شبهة واما
الفرقة المحقة فانما اغترارهم من حيث انها ظنت
ان الجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله وزعمت انه
لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله
من غير بحث وتفتيش دليل فليس هو من اولي الايمان ولا
مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم
الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعه ومناقضاتهم
واهملوا انفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم
الظاهره والباطنه واحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل ولي
واقرب عند الله تعالى وافضل ولكنه لا تنفذه بالغلبه والافحام
ولذه الرياسه وعز الانتماء الى الذب عن دين الله عميت بصيرته فلم
يلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم
خير الخلق وانهم قد ادركوا اكثر امر هذا المبتدع والهوى فيما
جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما
اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم
يتكلموا فيه الا حيث راوا حاجة ودعوا مخالفا يقبل
فذكروا بقدر الحاجه ما يدل الضال على ضلالته واذا
راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله
ولم يلزموا الملازمة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو
الدعوه الى السنه ومن السنه ترك الجدل والدعوه الى السنه
وقد روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم
قط بعد هدى الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب

عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال
ألهذا بعثتم أبهذا امرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا
الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم
عن ذلك وكفى بنوا على خلق الله بالحجاج والجدل ثم انهم لم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى كافه اهل الملل
يقعدا معهم ولا مجلس مجادله لازم ولا محام لتحقيق حجة ودفع
سؤال ولا يزدادون الا ما جادلهم الا بتلاوه القرآن المنزل
عليهم ولم يزدهم المجادله عليه الا ذلك ويشوش القلوب ويسخط
منها الاشتغالات المستقيمه لا يقدر على محوها من قلوبهم ومحاها
يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقايق الافيسه وان تعلم بعجزه
كيفية الجدل والالزام والحمل الاكياس واهل الجزم بعجزه
بهذا وقالوا هو نجي اهل الاهواء هلكت لم يبق معنا لمجادلتهم ولم
هلك لم يبق من هواهم ليس علينا المجادله كما
على الصحابه مع اليهود والنصارى وباقي الملل ما ضيعهم
بتحرير مجادلتهم فما لنا نضيع انفسنا وابنائنا في يوم فيه
في تفاصيله ثم بان المساع ليس
بزيادة يبغضه خصومه
نفسي ومجادلتهم
حسن
فكيف ادعوا
نفسي
يبغضه

وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد
واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون
بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد
صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا
عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرورهم اشد
الغرور لانهم يحبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم
ما تنجوا من علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق
دقايق الاخلاص الا وهم مخلصون وما فقهوا على خفايا عيوب النفس
الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقدر عند الله لما عرفه معنى
القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في
طريق الله والمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخايفين وهو آمن
من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين
ويرى انه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من
المتوكلين على الله وهو من المتكلين على الحول والحيلة والمال والاسباب
ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بالتصنع الاخلاص ويترك
الاخلاص بالوصف ويصف الرياء بذكره ويرى بذكره
ليعتقد فيه انه لخلاه الخلق لما اهتدى الى دقايق الرياء ويصف
الزهد في الدنيا لنشره حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو
يظهر الرغبة الى الله وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه
آمن ويذكر بالله وهو به ناس ويقرب الى الله وهو منه
متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات
المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على
الخلق اشدهم حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه
ضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم انه يحرض على الصلاح

الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه لمات غما وحسدا وفي
اثنى احد من المتزهدين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه
فهولا اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد
لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو يحمد
بعواقبها وفوايدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب
دعوة الخلق عن العمل به فعند ذلك ماذا يعالج وكيف يعرف
تخويفه وانما المخوف ما يبتلوه على عباد الله فيخاف فيه
ليس يخاف نفسه ان من يدعي انه موصوف بهذه الصفات
المحمودة يمكن ان يبتلى على طريق الامتحان والتجربة فيدعي
يدعي منشأ حب الله فما الذي تركه من مجانبات ما يدعي حبه
ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد في
الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الانس
بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مساوي اخلاقه
لا يأتمن قلبه فيبتلى بالخلوة واذا اجتمع به المريدون وعوا
يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا آنسا يستوحش
من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس محبون انفسهم
وهذه الصفات وبطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون
بالتزويق بما يوبق مراءه غليظ والرقعة وتغسيلهم
بانفسهم الظنون واذا كشف الغطاء عنهم يوم الاخرة
يفتضحون بما يظهر من بواطنهم في النار ومنهم فريق اوقاتهم
بها احدهم كما بادر الحمار بالرجاء كما ورد
يأمرون بالخير ولا يأتونه
وانما وقع الغرور لهولا
قلوبهم شيئا ضعف

حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف
المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف
ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا
اضافهم بها وذهب عليهم ان القوت الكلام والكلام
لمعرفه وجريان اللسان والمعرفه للعلم وان كل ذلك غير
الصاف بالصفه فلم يفارق احاد المسلمين في الاتصاف
حب والخوف بل في القدره على الوصف بل
ربما زاد امثله وقل خوفه وطهر الى الخلق ميله وضعف
قلبه حب الله تعالى ٥ وانما مثال الله مثال مريض
صف المرض ويصف دواءه بقصد احته ويصف الصحه
الشفا وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحه والشفا
اسبابه ودرجاته واصنافه فهذه لا يفارقهم في صفه
لمرض والاتصاف به انما يفارقهم في الوصف والعلم
طب وظنه عند علمه بحقيقه الصحه انه صحيح غايه
لجها فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد
سائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقايقها ومن التبس
عليه وصف حقايق بالاتصاف بها تسابق فهو مغرور وهذه
حاله الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم
منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصري وامثاله
وفرقه اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب
حفظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه
على يدوه ونعم اطراف الارض ان كان ولسنا
والشيخ وتلفيق

كلمات خارجه عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وتزيين
شعوذوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتنميقها وحشو
همهم في الاستماع والاستشهاد باشعار الوصف وغرض
وغرضهم ان تكثر في مجالسهم الزعقات وتعلو
على اعراض فاسده فهؤلاء شياطين الانس
وضلوا عن سواء السبيل فان الاولين
بانفسهم فقد اضلوا غيرهم وضلوا
واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويحرصون
الى الغرور بالله بلفظ الرجا فيزيدهم كلامهم
العاصي ورغبة في الدنيا لاسيما اذا كان
والخيل والمراكب فانه يشتهر من فرقه
على الدنيا فما يفسده هذا المغرور كثير
افلا ايضا خلقا كثيرا فلا تخفى وجه
وفرقة اخرى منهم قد هو
واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها
ويوردونها من غير احاطه بمعانيها فدخلهم من هذا
المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم
تجاسارا وكل منهم يظن انه اذا
الجديه اذ حفظ كلام الزهاد واهل
افلح ونال الغرض وصار مغفورا
ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاتمام ويشتغر
اهل الدين بكفيه وغرورهم
وفرقة اخرى
الحديث اعني

ملك الاسانيد العربية العالية فيما بلغهم ان بدورى البلاد
يدورى الشيوخ ليقول انا اروى عن فلان وقد لقيت فلانا ومعى
من الاسناد ما ليس معه وعذرهم من وجوه منها
انهم يحملونه
فهمها فانهما يصرفون العناية الى فهم معانى
فهمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويقنعون
ومنها انهم اذا لم يفهموا
قد يظنون انفسهم
انهم يتركون العلم الذى هو فرض عينهم
القلب وينشغلون بتكثير الاسانيد
طلب العلو منها لحاجة بهم الى ما يذكره منها
وهو الذى اكب عليه اهل الزمان انهم لا يفهمون شرط السماع
السماع لمجرده وان لم يحز له رواية فضلا عن فهمه ومنها
الى اثبات الحديث اذ الفهم بعد الاثبات والعمل بعد
الفهم فالاول السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر
فهذا اقتضته وامر الجملة على السماع ثم تردد احقية السماع فترى
الصبى يحضر مجلس الشيخ نهارا والشيخ ينام والصبى يلعب
او يكتب اسم الصبى فى السماع فاذا كبر تصدر لتسمع منه والبالغ
قد يحضر وما يغفل ولا يسمع ولا يصغى ولا يضبط وربما
يشتغل بالحديث وتسمع والشيخ الذى يقرأ عليه لو تحرف وتغير ما
قرأ عليه لم يتنبه به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور
فالاصل فى الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم يحفظه كما يسمعه ثم يرويه كما حفظه فتكون رواياته عن
حفظه وحفظه عن السماع فان عجزت عن سماعه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من اصحابه والتابعين

وصار سماعك عن الراوى كسماع من يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ان تصغى لتحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت
بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا او حذف حذفت
خطأه ولحفظك طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتداوم
بالذكر والتكرار لحفظ ما جرى على سمعك وعلى بصرك فى
والثانى ان تكتب مما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى
اليه يدك من غير نظر الى وجهه فحفظك للكتاب معك وفى حر
فانه لو امتدت اليه يد غيرك بما غيره او اتلفه تحفظه
بتغييره فيحزن لحفظ قلبك او بكتابك وبكون ذكرك
مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف وان لم
تحفظ الا بالقلب او بالكتاب وجرى على سمعك صوت فينبغى
وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك وجوزت ان يكون فيها
مغيرا انه بياض حرف منه النسخة التى سمعتها لم تجزك الفتوى
سمعت هذا الكتاب فانك لا تدرى لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت
شيئا يخالف ما فيه ولو فى كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك
ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها للمقابلة بها فمن اين تعلم انك
سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم
وقول الشيوخ كلهم فى هذا الزمان انا سمعنا ما فى هذا
الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذى ذكرناه كذب صرف واقل
شروط السماع ان تجرى الجميع على السمع مع نوع من
بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبى والمجنون ثم اذا بلغ الصبى وافاق
المجنون ثم وعلم جوازه ولو جاز ذلك
البطن فان كان لا يحتمل

يفهم ولا يحفظ والصبي الذي يلعب والغافل المشغول بالنسخ عن
السماع ليس يفهم ولا يحفظ فان استحرا جاهل وقال يكتب
سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق
بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فماذا ينفع
هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليفتضر اذا صار
شيخا على ان يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا
يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا
خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح وما ادعاه فهو كذب صريح
ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم بالعربية لانه سمع صوتا
عقلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن
اين يوخذ هذا وهل للسماع مستند الا نقل رسول الله صلى
الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما
سمعها وكيف يودي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا افحش انواع
الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم نجدوا
شيوخا الا ممن سمعوه من الصبي على هذا الوجه مع الغفلة
الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين ان
يشترطوا ذلك فيقام من مجتمعهم في حلقهم فينقص جاههم وقل
دلك وافتضحوا واصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه
صماخه وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا تعرف من
قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم الاصول بالفقه وما
ذكرناه مضبوط به وهو من اصول الفقه فهذا غرور
هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين واقتصارهم
على النقل وسماع اعيانهم من جمع الروايات والاسانيد

اعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد
من الحديث سلوك طريق الاخرة ربما يكفيه احاديث الواحد عمره
كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان والحديث
روي قوله عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فمن
يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور وفرقة
اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وعربية
اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفل عنهم وانهم من علماء
الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام السنة والكتاب
بعلم اللغة والنحو فافنى هؤلاء اعمارهم في دقايق النحويين
وفي صنعة الشعر امن غرائب اللغة ومثالهم كمن يتفنن
في جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم
ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتبة فلا بد من تعلمها وتصحيحها
ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط حيث يمكن
ان يقرا كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك
الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والصبي
عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع له في معرفة لغة
الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لاجل ورود
الشرع بها فيكفي من اللغة علم الغريب في الاحاديث
والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما
التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه نعم
لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني اشرعية والعمل بها
فهو ايضا مغرور بما شغله من العمر ضيع عمره في تحصيل
مخارج الحروف في القران واقصر عليه وهو عزوز اذ

المقصود من الحروف المعاني وانما الحروف ظروف وادوات ومن
احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفرا فضيع
اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من
جهال المغرورين فكذلك مغرور اهل النحو واللغة والادب
والقرآت والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا او تجردوا
لها او عرجوا عليها اكثر مما تحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي
فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل
وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه
هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة
الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم
باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج
الحروف والقائمون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من
اخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته
فتجاوز الى ما وراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة
العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في تحصيل انفس عليه وتصحيح
الاحوال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود
المخدوم ومن جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل
اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكم من لم يبلغ
المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في
المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم
الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات
وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون
الحظوة بها من حيث انها علوم فكان الغرور فيها اقل من
الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في

انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود
منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به الى المقصود الاقصى
فمن اخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به وفي فرقه
اخرى عظم غرورهم من الفقه فظنوا ان حكم
العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا
الحيل في دفع الحقوق واساءوا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا
بالظواهر وخطأوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور
فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة
الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المراة
مهما ابرأت عن الصداق ثم رجعت بعد الزوج بينه وبين الله وذلك خطأ
لان الزوج قد يسيء العشرة معها بحيث تضيق عليها الامور بسوء
الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج فتخلص منه
فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شيء
منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان
بقلبه ما لا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن
تكرهها نفسه وما طيبة النفس ان تسمح بنفسها بالابراء الا عند
ضرورة تقابله حتى اذا ازدادت بمضرة بين اختيار اهون
فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا
لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الامر الظاهر
وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع عليه
عليه ولكن مهما تمت في القاضي الاكراه بعيد القرائن
للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا ان تحصيل الابراء
وكذلك لا يجوز ان يوخذ مال الانسان بضيقه نفس مسد
فلو طلب من انسان مالا على ملأ من الناس واستحيا منهم

الا يعطيه وكان يود ان يكون سواله فخلوه حتى لا يعطيه ولكن
خاف المذمة من الناس وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما
فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم وسلمه فلا فرق بين هذا
وبين المصادره اذ معنى المصادره ايلام البدن بالسوط حتى يصير
ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسوال
من مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب
الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله ظاهر
وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهيئته لانه
لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لسانه
لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يوخذ
على هذا الوجه فهو حرام الا ترى الى ما جاء في قصة داود عليه
السلم حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف تخلصني فامر الله
بالاستحلال منه وكان ميتا فسر بندايه فاخره بيت المقدس
فنادا يا اوريا فاجابه لبيك يا نبي الله اخرجني من بطنه فما اتوبة
قال اني اسات اليك فامر فهمه لي قال قد فعلت ذلك
يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل هل ذكرت
له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال
لبيك يا نبي الله فقال اني اذنبت اليك ذنبا قال الم اهبه لك
قال او لا تسلني ما ذاك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا
وكذا وذكر شان المراه فانقطع الجواب فقال يا اوريا الا
تحبني قال يا نبي الله ما هكذا يفعل الانبيا حتى اقف معك
بين يدي الله فاستقبل داود الصراخ والبكاء من الراس حتى وعده
الله ان يستوهبه منه في القيامه فهذا ينبيك ان الهبة
من غير طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا

بمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الابرا والهبة وغيرها
من حظوظ الانسان واغراضه حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه
تقتضي بواعثه الى الخروج عن الحيل والالزام ومن ذلك هبة زوجة
مال الزكوة في حجر من زوجته وانها به ما لها لا يسقط
الزكوة والفقيه يقول سقطت الزكوة فان اراد به ان مطالبة
السلطان والساعي قد سقطت عنه فقد صدق فان مطالبة يوم
ظاهرة للملك وقد زال ظن انه يسلم في القيامة وركون كثير
لم يملك المال وكم من باع على حاجته الى البيع لا على هذا الوجه
اعظم جهلة بنقد الدين وهو الزكوة فان سر الزكوة تخفيف
القلب عن رذيلة البخل قال البخل مهلك قال صلى الله عليه
ثلث مهلكات شح مطاع الخ انما صار شحه مطاعا بما فعله
وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه
فان الله مطلع على قلبه وبنيته للمال وحرصه عليه وانه بلغ
من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى سد على نفسه
طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك الجاه
الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقها المغرورون
لا يميزون بين الامانة والفضول والشهوات وبين الحاجات
بل كل ما لا يتم معونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور
بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها والعباد سلوك
طريق الله فيما يتناولونه العبد لاستعانته به على الدين فعباده
فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولنوضح هذا
نصف عمر الفقها في امثال هذا لم لارادته عبد الله والعرض
التنبيه على مثله تعرف الاحماس بصيرة ان
ذلك يطول

والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة
منهم من غروره في الصلوة ومنهم من غروره في القرآن ومنهم من
في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في غيره وكذلك كل
من هو منهج من مناهج الخير فليس خير من غرور الا الاخلاص
وقليل ما هم ممن هم فرغوا لعمل الفرائض واشتغلوا
بالمكاسب والمواقيد وانما عمروا بالصلوة حتى خرجوا الى
التعدي والاسراف كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء
فيبالغ فيه ولا يرضى الا المحكوم عليه في دين الشرع
بالتعذر لاحتمالات البعيدة في ذلك وربما آل الامر
الى ان الحلال قد لا احتمالات البعيدة وربما اكل
الحرام المحض ولو تقلب هذا الاحمق في جميع عمره لكان
لم يزد مع ذلك على ان جمع الخمسة وكل ما جمع بوابا
من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام فهو من خرج الى
الشرق في طلب المودك منعه بعده وقد يطول الامر
حتى يضيع الصلوة واخرجها عن وقتها وان لم يخرجها بالكلية
فهو مقصر لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم
يفته فهو مقصر لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مقصر
بتضييع عمره الذي هو اعز الاشياء فيما لا مدرجة عنه
لان التشاغل بحق الخلق عن الله بطريق لا يقدر على سد العباد
فما يحتمل انهم ندعا دة يتبعدهم عن الله بمثل ذلك ٥
وقد يغلب على الموسوسة في نية الصلوة فلا
يزال يتشبث حتى يعتقد نية صحيحة ليشرع عليه

حتى تفوته الجماعة وتخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيرة فيكون
في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى
قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك
في اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم
ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح
النية في اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط
فهم على خير عند ربهم وفي فرقة اخرى
تغلب عليها الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وسائر
الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق
بين الضاد والظاء والسين والصاد ومخارج الحروف في جميع صلاته
لا يهتم بشيء منه ولا يشتغل بشيء مما سواه ذاهل عن معنى القرآن
والانتباه به وجه في الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع
الغرور فانه لم يتعلق الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق
مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الملاء ومثال
هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان
يؤديها على وجهها فاخذ يودي الرسالة ويتناقش في
مخارج الحروف ويشددها ويعيدها ويعود مرة بعد
اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة
حرمة المجلس فما اجراه بان تقام عليه السياسة ويرد
الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل وفي فرقة
اخرى اعتنوا بقراءة القرآن فيهذونه هذا ويرجعون
في اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجري به وقلبه يتردد
في اوديه الاماني اذ لا يتفكر في معاني القرآن ليتزجر
بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره

ويعتبر مواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب
تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة ومحذوراتها ويظن ان المقصود
من تنزل القرآن التفهم به مع اعتقاده عند ومثاله
عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار عبده فيه بالاوامر والنواهي
فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به واكتفى على حفظه
فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه مكرر
للكتاب بنغمته وصوته كالبوم مثلا بصوته فهو مستحق
للعقوبة ومهما ظن ان ذلك مراد منه فهو مغرور نعم
تلاوته انما تراد لكي لا ينسى لفظه وحفظه يراد
لمعناه ومعناه يراد للعمل به بالانقياد لاوامره وقد
يكون له صوت طيب فهو يقصد تزيين القرآن به ويعتبر
باستلذاذه ويظن ان ذلك لذته مناجاة الله وسماع كلامه
وانما هو لذته في صوته ولو رددا لحانه بشعر وكلام
آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد
قلبه فيعرف ان لذته بكلام الله من حيث حسن نظمه
ومعانيه او بصوته ومن فرقة منهم اعتزوا
بالصوم وربما صاموا الدهر او صاموا الايام الشريفة وهم يفرطون
في حفظ اللسان عن الغيبة وخواطرهم من الرياء وبطونهم
من الحرام عند الافطار واللسان من الهذيان بانواع
الفضول طول النهار ومع ذلك يظن بنفسه الخير
بمهمل الفرض ويطلب النافلة ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية
الغرور ومن فرقة اخرى اعتزوا بالحج فيخرجون
الى الحج عن خروج عن المظالم وقضاء للديون واسترضاء
للوالدين وطلب للزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد

سقوط حج الاسلام ويضيعون به الطريق للصلوة والفرايض ويعجزون
عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يوخذ
منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع
بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به
السمعة والرياء فيعصي الله في كسب الحرام اولا وفي انفاقه
بالرياء ثانيا فلا هو اخذ من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر
البيت بقلب ملوث برذايل الاخلاق ودنيم الصفات لم يقدم
تطهيره على حضوره وهو معه لا يظن انه على خير من ربه
وهو مغرور ومن فرقة اخرى اخذت طريق
الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على
الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير
عنف وطلب الرياسة والعز واذا باشر منكرا فرد عليه
غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وقد تجمع
الناس الى مسجده ومن تاخر عنه غلظ القول عليه فانما
غرضه الرياء والرياسة ومن قام بتعهد المسجد غيره
لحرد عليهم بما منعهم من يودن ويظن انه يود
به ولو جاء غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة
وقال لم اخذ حقي وزحمت على مرتبتي وكذلك قد
يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان
يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان ورع واعلم
منه ثقل عليه ومن فرقة اخرى حاورت
بمكة والمدينة واعتزلت بذلك ولم يوافقوا قلوبهم
يظهر واظاهرهم وباطنهم قلوبهم معلقة بما وراء
تلتفتة الى قول من يعرفه ان فعلت كذا وزرته

يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة واذا سمع
ان ذلك قبيح ترك ضرب التحدي واحب ان يعرفه الناس بذلك
ثم انه يجاور ويمد عين طمعه الى ما في ايدي الناس واذا
جمع من ذلك شيئا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بالقمة يتقوى
بها على فقير فيظهر فيه الربا والبخل والطمع وهي خلة من
المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب
المحمدة وان يقال انه من المجاورين لم يمد مجاورة مع التضمخ
بهذه الرذايل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال
وعلاوة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل
آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا تعرف شرح ذلك الا
من جملة كتاب احياء علوم الدين فتعرف مداخل الغرور في
الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة والتلاوة وسائر
القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الآن
الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب وفرقنا
في اخر زهدت في المال وقنعت من الملابس والطعام بالدون
ومن المسكن بالمساجد وظننت انها ادركت رتبة الزهاد
وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ
او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين
فان الجاه اطم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة
اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يتجاوز
معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذتها الرياسة وان لم راغب فيها
لا بد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا
بجميع خبايث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر
الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك

على الاغنياء ويخشن عليهم الكلام ويظن انهم بعين الاستحقار
ينظرون اليه اكثر مما يرجو الهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة
من خبايث القلوب وهو لا يدري وربما يتحرى المال فلا ياخذه
خيفة من ان يقال بطالزهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر
وترفق في الخفيه لم تسمح نفسه خوفا من ذم الناس فهو رغب
في حمد الناس وهو من ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد
في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك فربما لا تخلوا عن توقير الاغنياء
وتقديمهم على الفقراء والميل الى المزيدين له والمنقبضين عليه
والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خداع
وغرور من الشيطان وربما لا تعتاد من يشتد على نفسه
في اعمال الجوارح حتى يصلي اليوم والليلة مثلا الف ركعة
ويختم القران وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب
وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر
المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه
ذلك وان ظن نفسه ذلك توهم انه مغفور له بعمله الظاهر
وانه غير مواخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات
الظاهرة ترجح بها كفة حسناته وهيهات فذرة من تقوى
وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال
عملا بالجوارح ثم لا تخلوا هذا المغرور مع سوء خلقه
مع الناس وخشونته وتلوثه باطنه عن الرياء وحب الثناء
فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واوليائه وجب به
فرح المغرور وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان
تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله وهذا من
ان ذلك لجهل الناس بخبايث باطنه وفرقة

أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم حرصها بالفرايض ترى
احدهم يفرح بصلوة الضحى وتصلوه الليل وكمثال هذه النوافل ولا
تجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت
وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى ما تقرب
المتقربون الي بمثل ما افترضت عليهم ٥ ونرى الكل يتهاون
بنوافل الحيوات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان
احدهما يفوت والآخر لا يفوت وفضلان احدهما يضيق وقته
والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا
ونظير ذلك كل من يتحفظ فان تعصيته ظاهرة والطاعة
فيها باطنة والعاصي يقدم بعض المعاصي على بعض كتقديم
الفرايض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات
وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قائم به غيره وتقديم
المهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على
ما لا يفوت وهذا كله حيث لم يقدم حق الغير على حاجته
فقد اذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العمل افضل
فقال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك
قال ثم من قال ثم ابوك قال ثم من قال ثم ادناك ادناك
فبدأ بالصلاة بالاقربين اسوة فالاحوج فان استويا
فالاهم والاورع وكذلك من لا يفي ماله بحقه الوالدين
احج وانما الحج وهو معروف بل سعي ان يقدم حقهما على
حجه وقد قدم قوم فرض الحج على فرض الجهاد وكذلك اذا
دعا على العبد سيده ودعا وقت الجمعة فالجمعة تفوت
وهذا يفوت وعذره معصية وذنبه هو ضائعة في نفسه
وكذلك يصيب نوافله النجاسة فيعجله القوات على ابوبه

وأهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذ[اء] والمحذور
من الاذى اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات
والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور
وهذا غرور في غاية العموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه
لم يتفطن لضرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة
هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف
من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي
الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب
لان مقصود الفقه مهمود ما يحتاج اليه غيره في هو الحيوة فرقة
ما يحتاج هو اليه في قلبه الذي به الاخرة الرياسة والجاه
ولذة المباهاة وفهم الاقران والتقدم عليهم يعمى عليه
حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه ٥

الصنف الثالث المتصوفة

وما اغلب الغرور عليهم والمغرور منهم فرق ك
ففرقة منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه
الله تعالى اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين
من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم
واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص
والحضارة والصلوة والجلوس على السجادات مع اطراق الرؤس
وادخال في الجيب كالمتفكرين وفي تنفس الصعداء وفي خفض
الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمايل والهيئات فلما
تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها دخلوا معهم
في صوفيته ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والمراقبة
ومراقبة القلب وتطهير الباطن

الخفيه والجليه وكل ذلك من اهل مناوئ التصوف ولو فرغوا
عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفيه كيف ولم
يحوموا اقطاعها ولم تنسبوا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون
على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في
الرغيف والفلس ويحبه ويحاسدون على التقدم والتصدر
ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شئ من غرضه
وهولاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراه عجوز سمعت
ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان
ويخط كل واحد منهم قطر اقطار المملكه فتاقت
نفسها الى ان تقطع مملكه فاستعدت درعا ووضعت
على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا
وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتها حتى تيسرت عليها
وتعلمت كيف هيئة تبختر هم في الميدان وكيف تحريكهم
الايدي وتلفتت جميع شمايلهم في الترس والمنطق والحركات
والسكنات ثم توجهت الى العسكر ليثبت اسمها في
ديوان الشجعان فلما وصلت الى العسكر انفذت الى ديوان
العرض وامرت بتجريدها عن المغفر والدرع وتنظر ما
تحته وتمتحن بالمبارزه مع بعض الشجعان ليعرف غباوه
وشجاعته فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي
عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل
لها اجئت للاستهزاء بالملك ولاستحماق اهل حضرته
فالتبس عليها خذوها فالقوها الى قدام الفيل لتتخبطها
بالقوائم الفيل وهكذا يكون حال المدعي للتصوف
يوم القيامه اذ تكشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي

الاكبر الذي لا ينظر الى الوجوه والمرقع بالى سر القلب وفرقة
اخرى زادت على هولاء الغرور اذ شوهت عليها
الاقتداء بهم في بذاذه الثياب والرضا بالدون واراد ان تظاهر
بالتصوف. ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الخز والابريسم
ولبسوا المرقعات القسية والقطوا الرقيعة والسجادات
المصبوغة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم
ولم تجد احدهم مع ذلك انه متصوف لمجرد لون الثوب وكونه
مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب ليلا يطوف عليهم غسليها
كل ساعة لان الهوا توسخ وانما لبسوا المرقعات اذ كانت ثمنها
مخزنة وكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما ترقيع
القطوع الرقيعة فقطعة رقعة وخياطة المرقعات منها
فمن اين بسنبة ما اعتادوه وهولاء اظهر حماقة من كافة المغرورين
فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمه ويطلبون رغد
العيش ويأكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المحارم فضلا من الباطنه وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير
وشر هولاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن
لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف عامة ويظن
ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين
منهم وكل ذلك من شوم المتشبهين وشرهم. وفرقة
اخرى ادعت علم المعرفه ومشاهدة الحق
ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود
والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا من
والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات كلمات تتردد
يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الايمان

ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الاجلال
فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك
يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك
الكلمات المزوقة فهو يرددها كالببغاء يتكلم عن الوجد ويخبر
عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول
ان العباد انهم اجراء متعبون ويقول ان العلماء انهم محجبون
عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه واصل الى الحق وانه من المقربين
وهو عند الله من الفجار المنافقين عند ارباب القلوب من
الحمقى الجاهلين لم تحكم قط علما ولم تهذب خلقا ولم ترتب
عملا فهو يراقب قلبا سوء اتباع شهوته ويلتقف الهذيان
وحفظه ○ وقد شبههم وقعت في الاباحة
وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال
والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغني عن عملي فلم اتعب
نفسي وبعضهم يقول قد شغلت بالباطن بتطهير القلوب
عن الشهوات وعن حب الدنيا والله يحاسب الظواهر وقد كلفوا ما
لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب ما نحن فيه وقد جربنا وادركنا
ذلك بالعيان ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا اخلاع
الشهوة والغضب من صلبهما بل تاديبهما من حيث ينقاد كل
واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول
الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا
قد ملئت بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا
بالابدان وقلوبنا عاكفة على الربوبية فنحن مع
الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترفعوا عن
رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية

والشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة
انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى
خطيئة واحدة حتى كانوا يكون عليها ويموتون سيئين
متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين
بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط وسا وس
خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم
ومن غير اقتداء بشيخ متقن لدين والعلم صالح للاقتداء
واصنافهم يطول ○ وفرقة اخرى
جاوزت حد هوة واضعفت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت
بتفقد القلب وصار احدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل
والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات
وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب
لله تعالى ويزعم انه وامثاله ونعله قد تخيل له الله خيالات
هي بدعة او كشف فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو
عن مقارفة ما يكره الله وعن ايثار هوى نفسه على امر الله وعن
ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لم يتركه حياء من
الله وليس يدري ان ذلك ينافض الحب وبعضهم
ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد
ليصح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن
السلف والصحابة ورد انهم اعرف بالتوكل منه فانهم
فهموا ان التوكل لا يخاطر بالروح وترك الزاد بل كانوا
ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما
يترك الزاد وهو متوكل بسبب من الاسباب والتوكل به
وما من مقام من المقامات المحمودة الا وفيه غرور وفتنة

اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من
الكتاب فلا يمكن اعادته ٥ وفرقة اخرى
ضيقت على نفسها من امر القوت حتى طلبت منه الحلال
الخالص واهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصله
الواحده ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه
ومسكنه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان
الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا رضي بسائر الاعمال
دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا بفقد جميع الطاعات
والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو
مغرور ٥ وفرقة [illegible] احسن الخلق
والتواضع فتصدوا لخدمة الصوفيه فجعلوا قومًا يتكفلوا
لخدمتهم واخذوا ذلك شعله الرياسه وجمع المال وانما
غرضهم التكثر وهم يظهرون ان غرضهم الخدمه والتواضع وغرضهم
الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم الارتفاق وغرضهم
الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمه والتبعيه ثم انهم
يجمعون من الحرام والشبهات ويبذلون عليهم ليتخذوا اتباعهم
وينتشر بالخدمه اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين
وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق
الحج على الصوفيه ويزعم ان غرضه البر والارفاق
وباعث جميعهم الهوى والشهوة واية ذلك اهمالهم لجميع
اوامر الله عليهم ظاهرًا وباطنًا ورضاهم باخذ الحرام
للارتفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج
كمثل من يعمر مساجد الله فيطينها بالعذره ويزخرفها
بالعمارة ٥ وفرقة اخرى منهم

اشتغلوا بالمجاهده وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس عن عيوبها وصاروا
يتفقهون واخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفه خداعها
على طريقه فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب
النفس وباستنباط دقيق الكلام في افاتها فيقولون هذا في
النفس عيب والغفله عن كونه عيبًا عيب والالتفات الى كونه
عيبًا عيب ويتعمقون فيه بعلامات مسلسله تضيع الاوقات
في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب والخوض
علم علاجها كان ممن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وافاته ولم
يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه ٥ وفرقة
اخرى جاوزوا هذه الرتبه ولم يبتدوا بسلوك الطريق وانفتح لهم
ابواب المعرفه فكاشفوا على مبادي المعرفه واللمحة فعجبوا
منها وفرحوا واعجبهم ما رأوا فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها
والتفكر فيها وفي كيفيه انكشاف بابها عليهم وانسداده على
غيرهم وكان ذلك غرورا لان عجائب طريق الله ليس لها نهايه
فلو وقف مع كل عجوبه يتقيد بها قصرت خطاه وحرم عن
الوصول الى المقصد وكان مثاله من قصد منكفا فوقف على باب
ميدان فيه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها
فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي لم يكن فيه لقاء الملك
وفرقة اخرى جاوزوا هولاء ولم يلتفتوا الى ما
يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما يتيسر لهم من اعطاء
الجزيله ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين
في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربه الى الله فضنوا بهم
وصلوا الى الله فوقفوا وعلموا ان لله تعالى سبعين حجابا
من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب حتى

الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم الخليل عليه السلام
اذ قال اخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي
وليس المعنى به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر
ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال
يعلمون ان الكوكب ليس بالله فمثل ابرهيم عليه السلام لا يغره
الكوكب الذي لا يغر السوداء ولكن المراد به نور من الانوار التي
هي من حجب الله وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى
الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها
اعظم من بعض واصغر فاصغر انوار الكوكب فاستصغره لقلة
وأعظمها الشمس وبدونها القمر فلم يرض ابرهيم عليه
السلام لما رأى ملكوت السموات والارض بصيرته الى نور بعد انور
ويتخايل اليه في كل ما يلقى انه قد وصل ثم كان يكشف
له نور آخر فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف
له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا
بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال
عن التغير والتغير حضيض النقص والافول من ذروة الكمال
قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض
هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجاب بين
العبد وبين الله هو نفسه فانه ايضا من ربانيات وهو نور من
انوار الله اعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله
حتى لا يسع لجملة العالم ويحيط به تجلى فيه صورة الكل
فعند ذلك يشرق نوره الله شعاعا عظيما اذ يظهر فيه الوجود
كله على ما هو عليه وهو اول الامر محجوب بمشكاة

هو كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد
اشراق نور الله ربها التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من
جماله ما يفوق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة
فيقول انا الحق فان لم يتفطن له مادرا ذلك اغتر به ووقف
عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة
الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور
وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس
لون ما يترائى في المرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس
الزجاج بالزجاج كما قيل

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله
قد تلألأ فيه وغلطوا فانه كمن يرى كوكبا في مرآة او في
ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد اليه اليد
ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى
الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع
علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره وهل اعذر الذي
ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك بهذا الطريق
يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه
بل ربما يستضر به اذ يورث ذلك دهشة فرحة تسمع من
لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه
اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه وهو يحكم له بالدهشة
المحتقر وحياله القاصر وحده الموقوف ويصدق بعلم
تحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله ورسله

غروره ربما صار مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل ٥

الصنف الرابع ارباب الاموال والمعتبرون منهم فرق ٥

ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والربط والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالآجر على الساجد لتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت ذكرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد غلطوا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال كسبوها بالتنهب والرشى وبجهات المحظورة فهم قد زادوا الله تعالى خبثا بكسبها ونعوذ بالله السخط في انفاقها وهو كالمستهزئ بالله تعالى في الاستيناع عن كسبها فاذا عصوا الله تعالى بترك ما اوجب عليهم من التوبة والرجوع الى الله تعالى ورد المال الحرام الى اربابها او اعيانها وانما يردونها عند العجز فارغ وقوعها للهلاك فكان الواجب ردها الى ورثته فان لم يعلم بموته ورثته فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون اهم المفروقة على المساجد وهم لا يعلمون ذلك حيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيكون الاجر وغرضهم من بنائها الرياء وخلد الثناء وجرهم على بقائها لبقاء اسمهم بها لا لبقاء الخير الوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وهو الخيرة الانفاق على بنيته ولو كان احدهم ان ينفق دينارا ولا يكتب عليه لم يفعل لموضع الخير فقد سمح بنفسه ولم تسمح به نفسه ولا انه يريد ٥ وفرقة

اخرى ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقت على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره او في بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد وزينتها وانما الخلق عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس ٥ والثاني انه اذا صرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة ابصارهم والمقصود من المسجد الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد فلوب المصلين بتغليطهم اياهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو من حيث يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعتقد ذلك مسيئا الى الله تعالى وهو بذلك قد تعرض لسخط الله تعالى ومتمثل لامره وقد سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم بما يخرق من المساجد وربما شوقهم الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ٥ وبال ذلك كله راجع اليه واذا المسجد للتواضع وحضور القلب مع الله تعالى فكل ما ينافي هذين المعنيين مكروه ولذلك قال احدهما على الباب وقال تالي يدخل بيت الله فكن على المتاع عند الله صديقا فبهذا ينبغي ان يعظم المسجد وهو ان يرى تلويث المسجد بفضلة جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالخرم او بزخرف الدنيا منة على الله وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال آمين امين اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يحب الذهب والفضة ولا هذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله القلوب الصلحة فيها يحب

الله الارض وبها خرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رخم فتم مساجدكم وحليتم
مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجدا بالمدينة اتاه جبريل فقال
ابن مسجدك اذرع طولا واسما الا مر خرفه ولا تقشه
فخرفه زهدا من حيث انه راى المكثر محروقا واتكل عليه
وفرقة اخرى تقفوا الاثر الى الصدقات
وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون بها الحافل الجامد منهم ومن
الفقراء من عادته التنكر والاهتشاش للمعروف ويكرهون
الصدقة في السر ويروون اخفاء الفقير ما اخذ منهم حتى
عليهم وكفرانا وان ما تخرصون بما تنفقوا الملائكة الحج
فيحجون مرة بعد اخرى ويهانون واجبرانهم سباعا ولذلك
قال ابن مسعود من حق الحاج ان يكون اشعث ولا سبيل
عليهم السفر وبسط لهم في الرزق وبين يحجون محرومين
مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بعد القفار والرمال
وحاره ما سور الى جنبه لا يواسيه ورى ابو نصر
التمار ان رجلا جاء يودع عبد ربه الحارث وقال قد
عزمت على الحج فتامر بشيء قال له كم اعددت للنفقة قال
الفي درهم قال لشرفاني بها شيء تزهدا واشتيا
الى البيت او ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة
قال فان لله رضا الله تعالى وابتغ منزلك وتفرغ
لهم ولا تخرج على بعض ما مر رضا الله تعالى افعل قال
فعلم وانصرف فاء لها عشرة انفس مديون يقضي
دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يجهي عياله

امر يتيم يفرحه وان قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل
ان ادخال السرور على قلب المسلم واعانته للهفان وكشف
الضر واعانة الضعيف افضل من مايه حجة بعد حجة الاسلام
ثم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال
يا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وافضل
عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات
اقتضت النفس ان تقضي به وطرا فاظهرت اعمال الصالحات
وقد ان الله تعالى على نفسه الا تقبل الا عمل المتقين ٥
وفرقة اخرى من ارباب الاموال يحفظون الاموال
ويدخرونها لهم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية
التي لا تحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم
القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على باطنه
فهو محتاج الى قمعه فاخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل
هو مستغن عنها ومثاله من دخل ثوبه حية
وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليستغن
به الصفرا ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك
قيل لبشر ان فلانا الغني يكثر الصوم والصلوة فقال
المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره انما حاك هذا
اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا
افضل له من جوعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه
للدنيا ومنعه الفقراء وفرقة اخرى
عليهم البخل فلا تمنع نفوسهم الا اداء الزكوة فقط ثم
انهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه
ويطلبون من الفقراء من يقبلهم ويتردد احاده

او من يحتاجون اليه في المستقبل الاستئجار وخدمه او من
لهم فيه على الجهله غرض او بسبله [illegible] الى من يعينه واحذر
الاكابر ممن يستظهر بحشمته ليعلم ذلك عنده منزله
فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسد لمنبه ومحيطات للعمل
وصاحبه مغرور يظن انه مطيع [illegible] فاجر اذ طلب بعباد
الله عوضا عن غيره فهذا امر [illegible] مغرور ارباب الاموال
ايضا لا تحصى وانما ذكرنا هذا القدر تنبيها على اجناس
الغرور وفرقه [illegible] عموم الخلق وارباب
الاموال او الفقراء اغتروا بخدمهم [illegible] الشر واعتقدوا
ان ذلك يغنيهم ويكفيهم [illegible] ويظنون
لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل وهم لا يحفظ احد
وهم مغرورون من فضل حسن [illegible] الخير
فان لم يهيج الرعدة فلا [illegible] لا خير فيها
وما يراد لغيره فاذا افتر عن الاد [illegible] فلا قيمة له
وربما يغتر بما يسمعه من الوعظ [illegible] المجلس
وفضل البكاء وربما يدخله [illegible] السماع فيبكي
وربما يسمع كلاما مخوفا فيقوم [illegible] يصفق يديه
ويقول يا سلام سلم او يقول [illegible] وسبحان الله ويظن
انه قد اتى بالحزم كله وهو مغرور وانما مثاله المريض
الذي يحضر مجلس الاطباء فيسمع ما يحكى من الجايع الذي يحضر
الطعام عنده فيتعجب له ويعده [illegible] ثم ينصرف وذلك
نافع [illegible] وجوعه [illegible] فكذلك سماع وصف
[illegible] العمل [illegible] شيئا فكل وعظ

لم يغير منك صفة تغيرا فعالك حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا
اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا
رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته
من مداخل الغرور راه لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز
عنه وهذا يوجب الايأس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر
من خفايا هذه الافات فاقول الانسان اذا افترت
همته في شيء اظهر الايأس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق
واذا صحت منه النهوض اهتدى للحيل واستنبط بدقيق النظر
خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد
ان يستنزل الطير اخلى ساحة السماء بعده منه سترة
واذا اراد ان يخرج الحوت من اعماق البحار استخرجه واذا
اراد استخراج الذهب والفضة [illegible] استخرجه
وارض [illegible] المطلقة في انواع الحيل
فاقتصها واراد [illegible] السباع والفيلة وعظم الحيوانات
فاستخرجها واراد ان يأخذ الاراوي والحيات ويعبث بها
فاخذها واراد استخراج الترياق من اجوافها واراد ان يتخذ
الديباج الاديني المنتشر من ورق التوت فاتخذه واراد ان
يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها فاستخرجه
بدقيق الهندسة [illegible] مستقر على الارض وكذلك
باستنباط الحيل [illegible] فسخر الذر للركوب
والكلب للصيد [illegible] الارض وتضاريسها وبنى
الشبكة لاصطياد السمك الى [illegible] وذلك يعرف
الادنى وكل ذلك لانه همته امر دنياه وذلك معرض

على دنياه فلو همّه امر آخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم
قلبه فعجز عن تقويم قلبه واخذ ... وقال هذا محال ومن الذي يقدر
عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه ... الهمّ الواحد بل هو كما
... لو مسّح منك الهوى ... للجبل
فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ... اتبعهم باحسان
ولا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته ونويت همته بل لا
يحتاج الى عشر تعب ... واستصغر الدنيا ونظر
اسبابها وان قلت ... وتدبر قريب ... بعد ان كثرت
... ذكر مداخل الغرور ... نحو العقد ... واعلم
انه يحوم منه بنانه امور ... والتعلم والعمل فهذه
ثلثة امور لا بد منها ... ادطرة الغريزة
والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان ... وافاطنة
والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على
التحفظ عن الغرور فصفا ... وذكاء القلب لا بد منه
اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر ... ممكن نعم اذا حصل
اصله امكن تقويته بالممارسة ... المعارف كلها
العقل والكياسة قال رسول ... صلى الله عليه وسلم تبارك الله
الذي قسم العقل بين عباده اثنتا ... الحالين ليستوي عملهما
ويتمهما وصومهما وصلاتهما وليس يتفاوتان ... العقل
كالذرة في حب ... احد ... فسمه الله خلقه جبلا هو افضل
... العلم واليقين ... على الدرجات انه قيل يا رسول الله ارايت
... يعمر ويتصدق ويغزو
في ... وداله ... ويشيع ... بعين الضعيف

ما نعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما تجزى على قدر عقله ... وقال انس
اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا
الله نقول من عبادته ... فضله وخلقه فقال كيف عقله
فان الاحمق يصيب ... اعظم من مجون الفاجر وانما يهوي
الناس على قدر عقولهم ... وقال ابو الدرداء ان الله
الله صلى الله عليه وسلم اذا رفعه من رجل شدة عباده ...
من عقله فاذا افتانوا حسن ... وان قالوا خير
... ان قال لم يبلغ ... ذكروا الله بشدة عباده رجل ... قال
... عنا ... قالوا ... ومن يبلغ ... الله تعالى في ... الجنة
... بيت لا ... ولا يدرك ... الثاني
... واعلم ... في اربعة امور ... نفسه
... ربه ... لذته ... لا ... فيعرف نفسه بالعبودية
والذل وبكونه غريبا ... هذا العالم واجنبيا من هذه
الشهوات البهيمية وان الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى
والنظر الى وجهه فغفل ... تصور ان يعرف هذا ما يعرف
نفسه ولم يعرف ربه وليس ... عن على هذا بما ذكرناه في كتاب
المحبة وفي كتاب ... شرح عجائب القلب وكتاب التفكر
وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس وفي
وصف جلال الله وما ... به التنبيه على ... الله
... وآياته فان ... معلوم الى ... سنة

في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا
والاخرة فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وكتاب
ذكر موت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه
وربه وعرف الدنيا والاخرة تاركا لما يعرفه حب الله
ومعرفة الاخرة شدة الرغبة فيها وشدة الرغبة
عنه فيصير اهم اموره ما يوصله الى ما ينفعه في الاخرة
واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صار ذلك في الامور كلها
قليلا وكثيرا واشتغل بقضاء حاجة من يصيده منه
الاستعانة على سلوك طريق الاخرة وتنحى عنه واندفع
عنه كل غرور منشأه حب الدنيا وانصرف الى الدنيا
قدر الحاجة للمال فان ذلك هو الذي صرف اهل الدنيا
حتى انهمكوا في الاخرة وهو يقيده من الله فلا
يمكنه الخلاص من الغرور الا ان يتشبه بالله
تعالى وبشبه الصادرة عن
المتألهين وهو العلم
بطريق الله والعلم
والعمل بما يقربه
والعلم بآفات الطريق وعقباته
فهذه كتب احيا علوم الدين وما
فيها فيراعيها فانها فيها
المهالك وما هو مضطر
حتى انهم من الشرع
المهلكات يعلم

ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد ان يتوقع
خلقا عن المذمومة بعد
الكذر عن انواع التي اشرنا اليها من الغرور واما ذلك كله
ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى
تقوى به الارادة
التي ذكرناها فان
تخاف عليه وافوا
ويدعوه النصح
من دين الله
وراء
على
ذكرها من غير تعب
مثله كرجل
لذاته
يتحرك
وتعالى
والمعاشرة
وقد عجز الشيطان
الى الرحمة على خلق
الى الله فينظر العبد
قلبه الرحمة لهم وقد كان عند جهلهم به يثلبهم
ويبين لهم ضلالهم
ولم يبق له الا هم

دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله
فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره
وهدى بالنهار بعد شدة القلق وعاد عيشه بعد نهايته
الكدر واطابت لذة العافية بعد مرارة السقام ثم نظر
الى عدد كثير من المسلمين وقد ابعدهم عن العلة بعينها وقد
طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفعت الصياح بأنينهم فتذكر
ان دواءهم الذي يعرفه وبقربه منهم سهل ما يكون
وفي وسع كل زمان لقدرة واحدة الرجوع الى الله ولم يجد
فسحة من نفسه في التراخي عن الاسعاف بعلاجهم وكذلك
العبد المخلص بعد ان يعرف من القلوب
شاهد الخلق وقد مرضت بحب الدنيا وتعلقت بها
هلاكهم وشقاوتهم وسهل عليه [illegible]
نفسه عزم جازم في الاسعاف [illegible]
على ذلك رجاء ان يجد محالا للقبول وقد [illegible]
الشيطان مجال الفتنة فدعا الى الرياسة [illegible]
من دبيب النمل لا يشعر به المريد [illegible]
قلبه من دعاه الى التصنع والتزين بتحسين الالفاظ
والخرقات والتصنع [illegible]
من اليه بعظمونه ويحبونه [illegible]
الشفقة
[illegible]
[illegible]

الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة واصابت
من الدنيا شهوة يستحقر جنبها كل شهوة وكان قد ترك الدنيا
فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان فرصته
وامتدت الى قلبه يده فيستعمله في كل ما تحفظ عليه تلك
اللذة وامارة انشراح الصدر وركون النفس الى الشيطان انه لا
اخطأ فرد عليه بين [illegible] غضب فاذا انكر على نفسه
ما وجده من الغضب [illegible] الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب
لله لانه اذا لم يغضب [illegible] لم يدر فيه انقطعوا عن طريق
الله فوقع [illegible] ذلك الملوقيعه فيمن
رد عليه [illegible] بعد تركه للجلاء امتنع
وقعة [illegible] الحق والشكر عليه
بعد [illegible] الخصومات وكذلك اذا سبقه
الضجر او فتر عن [illegible] جزعت النفس ان يطلعوا
عليه فتسقط وجاهة [illegible] وتنفس الصعداء
ويزداد [illegible] جنبهم والشيطان يخيل
اليه انك انما تفعل ذلك [illegible] يغتر بانهم عن طريقه ويرجعون
الطريق بتركه وانما ذلك [illegible] خدعة وغرور بل هو خدعة
من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من
اطلاع الناس على مثل ذلك من قرائنه بل ربما تشتهي ذلك
وتستبشر به ولو ظهر من [illegible] من مالت القلوب الى
قبوله وزاد اثره لابدى [illegible] على كلامه
ولولا ان النفس [illegible] لاستلذ الرياسة
يغتنم ذلك اذ [illegible]
قدر دعوا [illegible]

فعجزوا عن الرقي والبير بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء
ليرفع الحجر من راس البير فشق عليه [illegible] من اعانه على ذلك
حتى تيسر عليه او كفاه ذلك [illegible] فيعظم بذلك
فرحه لا محالة اذ غرضه خلاص البير فان كان غرض
الناصح خلاص اخوانه المسلمين من [illegible] من اعانه او كفاه
ذلك فلم يثقل عليه اذ ليث لو هند [illegible] فانه نفعهم لم كان
ينبغي ان يثقل عليه ذلك بان مضرة [illegible] بنفسه فان هذه
[illegible] فلم يثقل عليه ومنهم [illegible] دعاة الشطار
[illegible] جميع كبائر الذنوب وهو [illegible] الجوارح و [illegible]
[illegible] من زيغ القلوب بعد الهدى [illegible] الناس بعد
[illegible] استووا فان قلت فمتى [illegible] فاقول
[illegible] لم يكن له قصد الا هذين [illegible] وكان [illegible] وجد من
[illegible] اولو هتدوا بانفسهم وانقطع [illegible] عن
[illegible] وعن اموالهم فاستووا [illegible] بالهم
[illegible] اذا كان لله فهذا [illegible] يشعرون به حمد
[illegible] تعالى ونصر اليهم كما ينصر [illegible] والى البهائم
[illegible] اساءت فمن حيث لا يدرون [illegible] خيرا
[illegible] لجهله باخلاقهم [illegible] البهائم من حيث انقطاع طمعه
عن قلب المغزله في قلوبهم واندفاعه بالرد [illegible] البهائم فلا
[illegible] ولا يتضجر بل يرى في الدفع عنه [illegible] لماشيه
[illegible] فلم يرسا بر
[illegible] بها لا يسلم
[illegible] ويكسب [illegible] يحترق

نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نزل
هذه الدرجة هلكت الدنيا من الوعظ وخربت القلوب فاقول
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة
ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت
القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب
الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب
الاكثرين الا الاقلين الذين لا يحبون الدنيا بتركهم فلم يترك
النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا
من ان يترك فيقال انه اوهمنا انها المهلكة التي سلطها الله على عباده
ليس فيها الا الخير فصدقنا قوله ولكن حق القول مني لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ
مسلطة لا لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ
لحب الرياسة حرام بل يدع تملق الشرب والزنا والسرقة
والربا والظلم وسائر المعاصي لقول الله تعالى ورسوله ان ذلك
حرام فانظر لنفسك ودينك فارغ القلب عن حديث الناس فان
الله يصلح خلقا كثيرا بانقاذ شخص واحد واشخاص ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله يؤيد
هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فانما الخشية ان يسد باب
الاتعاظ فاما ان تحترز السنة الوعاظ وورائهم باعث
الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا ان قال قائل
فان علم المريد هذه المكايد من الشيطان فاشتغل بنفسه
وترك النصح اونحوه وزاجر يشير الى الصلوة وقائم
فما الذي يقعد فاقول [illegible]
وجنابا الاغترار وما عسى [illegible]

[illegal] الشيطان يقول له قد تجرّيت وأفلتّ مني بذكائك
وفطنتك فقلك وقد قدرت على جملة من الكبائر وما قدرت
عليك فما أصبرك وأعظم عند الله محلّك إذ قد أذللت على قهري
ومكّنك من تفطن لجميع مداخل غرورك فتصغي إليه
وتصدقه وتحجب نفسك في فرارك من الغرور عن علمك فيكون
إعجابك بنفسك غاية الغرور وهو هلاك لا نجاة منه فالعجب
أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظفرت
منك بخلق تلطفت به في تهليكك وقنعت منك بما
من قلتك [illegal] اليوم تحجب نفسك أنك أعظم إذلالك من الله
حال لا منه وإن بقاءك لا تخشى على دينك الشيطان إلا بتوفيق
الله ومعونته ومن عرف [illegal] بصيرته [illegal]
القبيل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم على أنه لم يثق عليه
بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد ذلك حتى يجب
قوله [illegal] عليه الغرور بفضل الله تعالى
بحرمة والأمن من مكره حتى يظن أنه بقي عن هذه الوتيرة
والمستقبل ولا يخاف من أن تزول وأن تنقلب فيكون حاله
الاتكال على فضل الله فقد كان يقال بما يخوف من مكره
ومن أمن من مكر الله فهو ذاهب جدا في سبيله أن يكون
مشاهدا لجملة ذلك من فضل الله تعالى غافلا عن نفسه أن يكون
قال [illegal] صفة ذم صفاتها قلبه من [illegal] وآخلق
[illegal] العزيز من سائل حسنة ويكون خائفا أن
[illegal] سالبة كل نظرة عبر من مكر الله

ولا غافل عن [illegal] وهذا خطر [illegal] عنه و
لا نجاة منه [illegal] الصراط ولذلك لما [illegal]
لبعض الأولياء [illegal] وكان قد بقي له [illegal]
أفلتّ مني يا فلان [illegal] ولذلك قيل [illegal]
هلك الا العالمون [illegal] هلك إلا
والعاملون هلك [illegal]
فاذن الخطر
خطر ذلك لا [illegal]
أنه الموفق للصواب

[illegal] الغرور

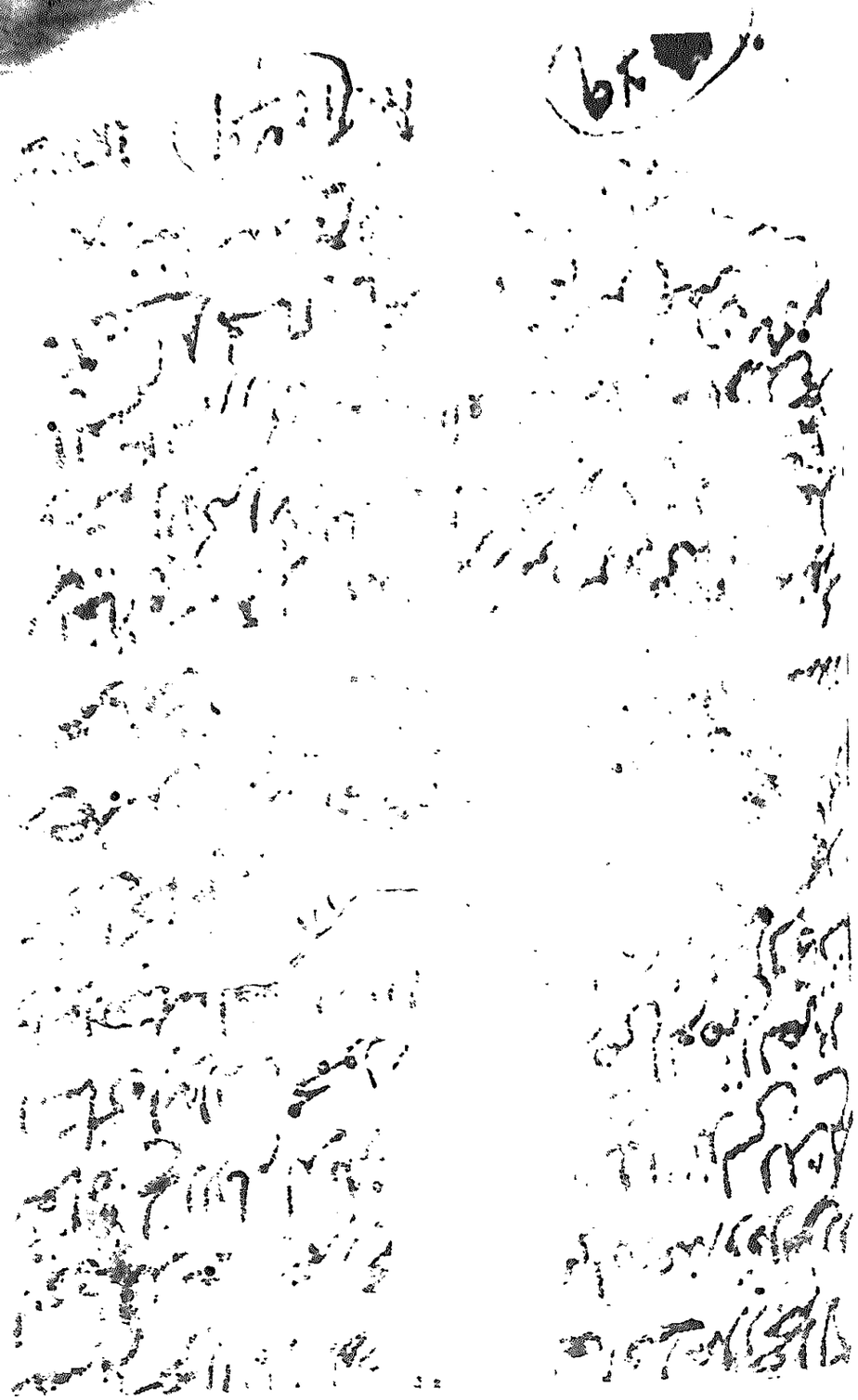

[illegible]

الإمام [illegible]

[illegible] محمود [illegible]

[illegible]

[illegible] الأكبر [illegible]

[illegible]

٢٦٩